المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فقد نبهتني ملاحظة أبداها الداعية " عمروخالد " في أحد أحاديثه على الإذاعة المرئية إذ يقول قولاً معناه أنه لا يعقل أن يجمع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ النساء المسلمات في يوم العيد ليقول لهن "إنهن ناقصات عقل ودين" والتي فهمها البعض بأنها حط من شأن المراة وقدح في قدراتها الذهنية أي ما يشبه السبّ والتنقيص.

وهذا الفهم يتناقض والمكانة السامية التي رفع الإسلام المرأة إليها، ولا يتسق كذلك مع النماذج الرائعة للمرأة المسلمة على مرّ الأزمان، ولا مع صاحب الخلق العظيم الذي كان يتخول أصحابه بالنصيحة مخافة الملل والسآمة، فكيف بمعاملته للنساء، لذا فقد أدخل هذا الفهم الناس في التناقض (بين ما هومعروف)، والحيرة حينما يستشهد به البعض في تحاملهم على النساء، وقد يأتي عدم الفهم نتيجة لقصور فهمنا للحديث أوعجز لإداركنا لمراميه ومقاصده أوتأخر منا في استخدام الوسائل المتاحة لنا.

إذا فلا بد من البحث في الأسباب التي أدت إلى هذا الفهم، هل هناك من يروج لذلك عمداً وقصداً للكيد للإسلام والمسلمين لتشويه الصورة الرائعة للمرأة المسلمة المشاركة في كل مناحي الحياة مع محافظتها على دينها والالتزام بتعاليمه، وخيط الكيد والتآمر على الدعوة المستمر منذ بداية الدعوة إلى يومنا هذا.

مما لا يخفى على كل منصف، أم كان نتيجة لاختلاط المسلمين بشعوب البلاد المفتوحة مع ما لها من ركام من الديانات والعقائد الفاسدة التي تجرِّم المرأة وتجعلها سبباً في خروج آدم ــ عليه السلام ــ من الجنة وبالتالي شقاء البشرية جمعاء.

واستناداً على ما سبق فقد رأت الباحثة في هذه الأحاديث عله يوصلني إلى نتائج تتسق مع مقاصد الشريعة الإسلامية وتجلي المعنى المقصود بهذه الأحاديث الشريفة، ومن ثم فقد قسمتُ هذا البحث إلى ثلاث فصول :

الفصل الأول: المراة قبل الإسلام وبعده.

المبحث الأول: وضع المرأة قبل الإسلام.

المبحث الثاني: مكانة المرأة في الإسلام.

الفصل الثاني: المقام والسياق ودورهما في تحديد المعنى (الدلالة) .

المبحث الاول: المقام.

المبحث الثاني: السياق.

الفصل الثالث: دور المقام والسياق في معاني بعض الأحاديث النبوية الخاصة بالنساء.

المبحث الأول: بعض الأحاديث النبوية الخاصة بالنساء وتبيين مقاصدها من خلال المقام والسياق.

المبحث الثاني: بعض الأحاديث التي يفهم من ظاهرها خلاف مقصودها.

ثم ختمت هذا الفصل بايراد بعض الأحاديث الموضوعة والتي راجت وتداولها الناس كل حسب هواه وأغراضه، ورغم أن دارسي الحديث قد اثبتوا عيوبها إلا أنها قد تركت آثاراً ضارة في وجدان الأمة لا سيما حينما يستشهد بها في كثير من الموافق لتثبت الضعف العقلي للنساء أووصفهن بنقص القدرات الذهنية .

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث لتحقيق الأهداف التالية :

1. تحديد الأسباب التي أدت للفهم المغلوط للأحاديث الخاصة بالنساء، خاصة وأن الإسلام قد أنقذ المرأة من الوهدة التي تردت فيها قبل البعثة المحمدية .
2. معرفة الدور الذي يؤديه المقام والسياق في تجلية المعنى وإيضاح المقصود، ومن ثم الفهم الصحيح للأحاديث النبوية الشريفة الخاصة بالنساء .
3. ربط الأحاديث الخاصة بالنساء بغيرها من الأحاديث النبوية الأخرى والتي تُعين على الفهم والترجيح لبعض المعاني دون غيرها والوصول إلى المرامي والمقاصد .

أسباب اختيار البحث:

1. تداول كثير من الأحاديث النبوية مقتطعة من سياقها ومناسبات ورودها، مما يؤثر على معناها.
2. الكشف عن البلاغة النبوية والاعجاز في اختيار المفردات والتراكيب في هذه الأحاديث.
3. الإفادة مما يجد من معلومات لم تتوافر للسابقين حيث لم تتح لهم وسائلها في الازمان الماضية. **مشكلة البحث:**

عدم مراعاة المقام والسياق في الأحاديث الخاصة بالنساء أدى إلى فهمها فهما خاطئاً، وقد يبنى على هذا الفهم أحكام وراجت أراء، أدت إلى نتائج أضرت بالمجتمعات الإسلامية للتناقض بين علومكانة المرأة في الإسلام، والأقوال المبتورة التي تتردد على ألسنة بعض الناس.

أسئلة البحث:

1. هل يمدنا المقام والسياق بمعانٍ أكثر مما في ظاهر اللفظ ؟

2. هل يمكن أن ينقلب المعنى إلى ضده إذا لم نراعِ المقام والسياق؟

3. هل يمكن للمفردات أن تكون محملة بمعانٍ جديدة تختلف باختلاف الأزمنة؟

4. هل يمكن استخلاص رؤى جديدة من السياق غير اللغوي؟

5. هل الكشوف العلمية تمدنا بمعانٍ لم تتح للسابقين لعدم توافر وسائلها في أزمانهم؟

هل للغة العربية خصائص تنفرد بها عن غيرها من اللغات تعين على إجلاء المعاني؟

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في فهم الأحاديث فهماً صحيحاً يتماشى ومقاصد الشريعة الإسلامية، وحرص النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ على المؤمنات، لأن هزيمة المرأة نفسياً هزيمة للأمة عامة وللأجيال القادمة خاصة

منهج البحث: المنهج الوصفي التحليلي.

حدود البحث: يقتصر هذا البحث على عدد من الأحاديث الخاصة بالنساء التي يظن أنها تشعر بدونية المرأة.

الدراسات السابقة:

اطلعت الباحثة على دراسات ذات صلة بالموضوع، ومما لا شك فيه أنها أفادت كثيراً من كلّ هذه الدراسات في جوانب الموضوع المختلفة.

وفيما يلي بعض هذه الدراسات:

1. **التراكيب النحوية في صحيح البخاري ــ دراسة وصفية دلالية ــ .**

الدرجة المقدم لها: الدكتوراة \ 1434ه، الدارسة: سوسن الفاضل محمد الحسن.

هدفت الدراسة إلى الوقوف على الأنماط المستخدمة في الحديث النبوي الشريف، ومناقشة القضايا التركيبية المرتبطة بالحديث النبوي الشريف وأن فهم السنة النبوية يقتضي المعرفة بعلم التراكيب وعلم الدلالة.

وقد خرجت الدراسة بعدة نتائج فيها:

1. أن الحديث النبوي اهتم بتوضيح المعنى بشتى الطرق والوسائل واستخدم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعض الأبنية للدلالة على معانٍ محددة.

2. تنوعت أنماط الجملة (اسمية أوفعلية) فجاء المسند إليه نكرة ومعرفة وضميراً.

كان للسياق بنوعيه (اللغوي وغير اللغوي) دور واضح في تحديد المعنى في الحديث النبوي الشريف، كما استخدم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ (الدلالة التركيبية) لتوضيح المعنى وقد صارت في أشكال مختلفة منها الأمثال وتأويل الرؤى والملاحن، كما استخدم عناصر التوسع المختلفة للدلالة على معانٍ مختلفة.

جاءت التراكيب الخبرية والانشائية على الأصل في بعض الأحاديث كما خرجت عما وضعت له إلى دلالات أخرى يحددها السياق والقرائن المختلفة وذلك لتأدية وظائف معينة.

وأشارت الدراسة إلى ضرورة دراسة الدلالة التركبية وظواهر التوسع في لغة الحديث النبوي الشريف، كما أوصت الدراسة بأن يُدرس السياق بنوعيه وأثره في تحديد المعنى في الحديث النبوي الشريف، كما أوصت بدراسته في صحيح الإمام مسلم.

2. أثر السياق في توجيه شرح الأحاديث عند ابن حجر العسقلاني.

الدرجة المقدم لها : الماجستير\1432ه، كلية الأداب، الجامعة الإسلامية ـغزة، الطالب: أحمد مصطفى أحمد الأسطل.

وقد خلصت الدراسة إلى أن علماء العربية القدماء من لغويين وبلاغيين وأصوليين ومفسريين وشراح حديث قد درسوا مفهوم السياق وبينوا أثره في النظم، وتحديد دلالة الكلمات والجمل، كما ظهر أن السياق عند علماء اللغة المحدثين قد اتسعت مجالاته، وتعددت مدارسه، فيرث وأولمان وغيرهم، وقد بالغ بعض علماء علم اللغة الغربيين حيث اظهروا أن كل معاني الكلمات لا تظهر إلا من خلال السياق، وظهر أن بعض اللغويين العرب قد تأثروا بهذه النظرية السياقية وطبقوها في دراساتهم مثل الدكتور تمام حسان، والدكتور كمال بشر، والدكتور محمود السعران وغيرهم.

أفاد ابن حجر من شروح سابقيه ومعاصريه وآراء العلماء في مجال النحواللغة إلا أنه احتفظ باستقلاليته وآرائه الخاصة وتعامل مع النصوص واحتكم إلى القرائن السياقية الداخلية والخارجية للتوجيه والتحليل، كما ارتبط السياق عنده بإستعمالات متعددة فقد ربط السياق بالغرض والقصد، لا ما تقدمه قوانين اللغة من معانٍ، وقد قصد بالسياق الجوالعام الذي يحيط بالكلام ليستدل به على رجحان تأويل دون غيره وأن الكلام لا يكون دائماً على ظاهره لأن الكلمة الواحدة أوالجملة الواحدة قد تحمل مضمونين متناقضين دون أن تختلف في بنائها الداخلي وإنما الذي تغير هوالسياق والعناصر المحيطة، ويوضح ما يختاره من الدلالات ويذكر أراء غيره من العلماء دون أن يرفضها، كما وظف السياق المقالي الخاص وأن فهم النص لا يتم إلا باستيفاء جميع أجزائه، وذهب إلى أن الصيغ والتراكيب قد تتشابه شكلاً إلاّ أن المعنى السياقي هوالذي يفرق بينهما، وأخذ بالرخص التركيبية في مبحث الحذف الذي ساعد عليها وضوح المعنى وتوافر القرائن ومراد المتكلم ومعرفة المخاطب بخصائص اللغة وبعض أنواع الحذف عنده كانت توجه من خلال ذلك، وحرص على الإستفادة من سياق الروايات الأخرى، بإعتبار أن الحديث كالنص الواحد واستناداً على أن

الأحاديث يفسر بعضها بعضاً، كما يرجح السياق التام (الحديث التام) فبعض الروايات أكثر تماماً من غيرها.

وللمعنى المعجمي للكلمه عند ابن حجر أهمية، ويذكر ما يترجح لديه من وجوه الإعراب من خلال النص ويتم ترجيحه لما يتناسب مع السياق ويراعي جوانب المعنى، واهتم بالأدوات النحوية ووظائفها وبيان أثر السياق فيها، والنص على معانيها وكيفية استخدامها في الحديث الشريف، ووظف في شرحه السياق العقلي وهوسياق خارج عن النص اللغوي وسياق الحال وانما هوشئ معنوي طريقه العقل يدل عليه المعنى العام ويوصل إلى الدلالة المقصودة، وللإعراب عنده دور مهم في ترجيح الروايات .

وقد رجح الدلالة التي تراعي المقام لأن عدم مراعاة المقام قد يوقع في التأويل الخطأ أوتحميل الكلام ما لا يحتمله، وظهرت عنده علاقة السياق بالمعنى أي أنه لا ينسى المستوى الثقافي كالأعراف السائده وما يحيط بالكلمة من عادات القوم وأن استعمال الكلمة هوالذي يحدد الدلالة .

كان البخاري يترك الدلالات مفتوحة احياناً دون أن يرجح بينهما، وعناصر سياق الحال كثيرة ومهمة في توجيهه فالنص عنده حمال أوجه أوما يعرف حديثاً بالانفتاح الدلالي، اما عناصر سياق الحال عند ابن حجر كثيرة ومهمة في توجيه الدلالة ومنها : أسباب الورود، والموروث الثقافي العربي، وعادات النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ، والناسخ والمنسوخ.

3. أثر السياق في مبنى تراكيب الحديث النبوي الشريف ودلالاته.

الدرجة المقدم لها: الماجستير1438ه\ كلية دار العلوم_ جامعة المنيا, الدارس: أحمد رفعت عبدالوهاب مبروك.

تجمع هذه الدراسة بين التركيب والدلالة بفرعين من فروع علم اللغة، ويحاول تطبيق نظرية السياق الموجودة في تراثنا العربي الأصيل بالتطبيق على الحديث النبوي الشريف وهونص لغوي أصيل ليبين أثر السياق في تراكيبه ودلالاته، وقد اختار الباحث ثمانية مجالات للسياق عند شراح الحديث النبوي الشريف كفصل أول، ثم تحدث في الفصل الثاني عن أثر السياق في العلاقات النحوية بين عناصر التركيب وعرض فيه أثر السياق في بيان الرتبة بين عناصر الجملتيين (الإسمية والفعلية) وبيان مرجع الضمير، وتعرض في الفصل الثالث إلى بيان أثر السياق في الدلالة على معاني المفردات وبعض المعاني غير الأصلية لتركيبي الإستفهام والأمر, وقد خلص الباحث بنتجة عامة مفادها أن للسياق بشقيه اللغوي وغير اللغوي أثر كبير في تراكيب الحديث النبوي الشريف،وأن شراح الحديث كانوا على وعى تام بعناصر سياق الحال ووظفوها في فهم الحديث النبوي كما أنه لا يمكن دراسة الحديث بمعزل عن سياقه الخارجي.

4. دلالة السياق في فهم النص(سورة يوسف نموذجا).

الدرجة المقدم لها: الماجستير\1436ه، كلية الأداب واللغات، جامعة محمد خيضر– بسكرة– الدارس: عبدالرحمن خمار.

حاول الدارس من خلال البحث إبراز دلالة السياق ودوره في فهم النص القرآني، وتحديداً في سورة يوسف، حيث حدد مفهوم السياق وانواعه مع توضيح ملامح استخداماته في التراث العربي، وانفراد الدرس العربي بالسياق القرآني، ثم تطرق إلى الإرهاصات الأولى التي تبلورت من بعد ذلك بدراسة أركان السياق في السورة المدروسة وخلص إلى أهميته الكبرى في الوقوف على مراد الشارع الحكيم، واستنباط الأحكام الشرعية.

وقد توصل الباحث إلى عدة نتائج يذكر منها:

1. تميز النظرية السياقية العربية على نظيرتها الغربية وذلك لتضمنها السياق القرآني.

2. تضافر جهود اللغويين والبلاغيين والأصوليين والمفسرين وتوحد أرائهم في أهمية السياق ودوره في كشف المعنى.

3. تنوع استخدام السياق في التراث العربي(الموقف، مقتضى الحال، المقام) وتعدد انواع السياق القرآني في سورة يوسف، لأنها تحكي في مجملها قصة يوسف.

4. السياق يساهم في فهم النص القرآني خاصة القصصي.

5. اهتمام الأصوليين بالسياق جعل الإمام الشافعي يورد باباً في كتابه (الرسالة) بعنوان (الصنّف الذي يبين سياقه معناه).

تمهيـــد:

للسنة النبوية مرتبتها بعد الكتاب الكريم، إذ هي مفسرة لنصوصه، ومبينة لمعانيه بتخصيص عامه، وتقييد مطلقه وتوضيح مشكله، وتعيين مبهمه، وتعليل محكمه، واتباعها واجب كالكتاب قال تعالى (وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)[1] وقد حرص المسلمون في عصر النبوة على حفظها في صدورهم،ونشرها في مجتمعاتهم وروايتها عند الحكم على نوازلهم وأحداثهم، كذلك كانوا في عصر الخلفاء الراشدين، وكبار التابعين يرويها الفقهاء، والقضاة، والمعلمون، ولم تدون في كتاب لعدم انتشار الكتابة حينئذٍ، ولعدم الدواعي لتدوينها، بل كانت محفوظة في صدور العدول الامناء.

إن حاجات العصر والأحوال الاجتماعية الجديدة تلح على المسلمين على أن يجددوا صلتهم بالسنة النبوية الشريفة لأنها إحدى مصادر التشريع، وذلك بأن ينظر إليها على أنها أوامر يجب أن تنفذ، بعد التأكد من نسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأن تستكمل وسائل فهمها وإدراك مغازيها حتى يستطيعوا تطبيقها وتنفيذها، فهوصلى الله عليه وسلم لاينطق عن الهوى، والمسلمون ملزمون بطاعته.

لذلك يجب أن تدرس الأحاديث النبويه دراسة تبين المرامى والمقاصد الشريفة، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فبلغها كما سمع فربّ مبلغ أوعى من سامع)[2] فهذا الحديث المعجز يجب أن نقف أمامه وقفة تجلة وتبجيل عميق لاتحده حدود لأن المتأمل فيه في كل عصر من العصور واجد فيه مايشفي غليله تجاه مستجدات عصره. فهذا الحديث فيه حرص على الضبط والحفظ والتبليغ، وإنه ربما تتوافر للمبلغ أشياء لم تكن متاحة للسامع، فتتوافر دلالات أخرى متعددة ولكنها لاتخطيء

1- سورة الحشر الآية (7).

2- الترمذي , العلم , باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع 7_306 \ ح 2659 وهوحسن صحيح.

ولاتتناقض، فالتعدد يزيد في طاقــة تأثيرها ويوسع مساحة الإحساس بها أكــثر مما تصرح به العبارة وهنا لابد أن نذكر أن الدراسة البلاغيــة للحديث النبوي الشريف تعترضها قضية أساسية وهي قضية الاحتجاج بلفظ الحديث النبوي، لأن البعض يدعي عموم الرواية بالمعنى لآن الصحابة رضوان الله عليهم قد حفظوا في صدورهم ألفاظ السنة النبوية حفظاً وكانوا أول المنفذين لأمرها لقوة إيمانهم وصفاء أذهانهم لبساطة بيئتهم وعلوهممهم وتشوقهم لسماعه، فمعلمهم هوالرسول صلى الله عليه وسلم وهم يسمعون قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :(بلّغوا عني ولوآية وحدثوا عن بني أسرائيل ولاحرج ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[1]هذ الحديث يرفع الحرج عمن يريد أن يدلي بدلوه ولوكان ماعنده يسيراً .

وهذا البحث يقوم على دراسة بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي تخص النساء دراسة تركز على السياق الذي وردت فيه، والمساهمة في إجلاء معانيها، ودلالاتها وما يمكن أن يفهم منها. يدفع الباحثة إيمان عميق أن الشريعة الإسلامية لم تنقص حقاً للمرأة ولم تظلمها لحساب الرجل، وإن وقع الظلم نتيجة لبعض الأفكار الجاهلية التي تسربت إلى عقول طائفة من المسلمين فساءت تصوراتهم لشخصية المرأة ولدورها، وتبعاً لذلك ساء سلوكهم في معاملتها، خاصة في عصور التخلف التي ابتعدوا فيها عن الحديث النبوي، فهي عندهم ناقصة العقل والدين وهي مخلوق ناقص الأهلية، حتى أن بعضهم حرمها من الميراث في ردة إلى حكم الجاهلية، كذلك حرمت من تلقي العلم وحبست في البيوت، مع أن الحبس هوعقوبة لمن تأتى بالفاحشة بعد أن يشهد عليها أربعة من المؤمنين .

[1]- صحيح البخاري : كتاب الأنبياء، باب ماذكر في بني اسرائيل ج3 \ ح 1275 \ والترمذي كتاب العلم , باب ما جاء في الحديث عن بني اسرائيل 7_314 \ ح 2671 .

واستندوا في هذا الظلم إلى أحاديث صحيحة، لم يضعوها في موضعها، وفهموها فهماً جزئياً، واستدلوا بها في غير ماسيقت له، واستعانوا بأحاديث لايعرف لها أصل، ولا سند أوأحاديث واهنة شديدة الوهن، أوموضوعة مكذوبة على الرسول صلى الله عليه وسلم ولذا ساد اتجاه التزمت والتشديد، والعجب في ذلك سوء الفهم للنصوص التي عرفوها بوضعها في غير موضعها أوقسرها على استنباط أحكام منها لاتدل عليها الا باعتساف أوبترها عن سبب ورودها أوعن سياقــها أوعزلها عن باقى أحــكام الإسلام ومقاصده الكلية فلم يوفقوا بينها.

والحديث النبوى خطاب له خصوصيته السياقية والمقامية، وهي تتوزع بين من وجّه الخطاب إليهم مشافهة ومن تلقوا النص رواية أوكتابة لاحقاً، وهؤلاء تغيب عنهم وسائل التعبير غير اللغوية، كالحضور والتنغيم والإشارات فإذا غابت ملابسات المشافهة فإن الملابسات السياقية الأخرى ينبغي أن تؤخذ في اعتبار من يسعى لفهم الحديث، لأن الحديث موجه للمؤمنين الذين يؤمنون به ويصدقونه ومن تنصرف هممهم إلى البحث عن حقيقة المراد من القول، لأن أقواله تعاليم ــ صلى الله عليه وسلم ــ واجبة القبول .

بلاغة الحديث النبوي الشريف {أسبابها _ سماتها_ خصائصها}.

أسباب بلاغة الحديث :

الآداء / المعنى / الأسلوب :

الآداء:

لم تكن فصاحته ــ صلى الله عليه وسلم ــ مقصورة على جودة الأسلوب وعمق المعنى بل جاوزت ذلك الي الآداء فكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ ضلــيع الفم يستعمــل فــمه جميعــاً اذا تكــلم، ولا يقتصر على تحريك الشفتين فحسب بل كان ــ صلى الله عليه وسلم

ــ طويل السكوت، لايتكلم في غير حاجة وإذا تكلم لم يسرد سرداً بل فصل وتمهل، وأبان ورتل، روى البخاري والترمذي عن أنس أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ " كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا " [1] حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً ولوأراد العاد أن يحصى كلماته لأحصاها، وكان كلامه فصلا يفهمه كل من سمعه ، وتقول السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: "لَمْ يَكُنْ يَسْرُدْ كَسَرْدِكُم " [2]، وكان يعطي الكلام مايستحق حتى أن ما يختلج في صدره، كان يبدوعلى وجهه، وصفه جابر فقال: كان إذا خطب احمرّت عيناهــ وعلا صوته، واشتد غضبه، وكأنه منذر جيشٍ يقول: " صبحكم ومساكم " [3]، وكان لحركته وإشارته موضع كبير في إجادة الأداء، فحركته معبرة تستلفت النظر، وتنبه الغافل، وتعين على الحفظ والتذكر، فإذا أراد ذكر القلب أشار إلى صدره كما في قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ " التقوى هاهنا "[4] فإذا أراد الملازمة أشـــار بسبابته والتي تليها كما قـــال: ــ صلى الله عليه وســـلـــم ــ"أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى"[5] وإذا أراد ان يؤكد أهمية الموضوع غير جلسته كما في حديث شهادة الزور " ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يارسول الله قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً، فجلس فقال ألا وقول الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت"[6]. وكان ينفعل بكلامه فيبتسم إذا كان في حديثـــه مايوجب ذلك ويبكى إذا كان في كلامه مايوجب ذلك . وكان لشخصية الرسول ــ صلى

---

[1]- صحيح البخاري 25/1 صحيح مسلم 304/4 .
[2]- صحيح مسلم 11/3
[3]-.صحيح مسلم3\11.
[4]- المصدر نفسه 11/8.
[5]- انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لإبن حجر \ ج10 \ كتاب الأدب (باب فضل من يعول يتيماً).
[6]- احمد بن علي ابن حجر العسقلاني \ فتح الباري بشرح صحيح البخاري \ (تح) عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز \ دار البيان العربي \ ج5 باب ما قيل في شهادة الزور \ ص 304.

الله عليه وسلم ــأثر كبير في كون الأداء قد بلغ الذروة فقد ورد في وصفه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن له هيبة وجلالاً فإذ تكلم بين أصحابه كانوا كأن على رؤوسهم الطير .

صفات معانى الحديث:

في معاني الحديث صفات قلَّ أن تجتمع في كلام سواه منها [1]:

1_ الغنى في الافكار.

2_ العمق.

3_الجدة.

4_ التسلسل والانسجام.

الغوص في أغوار النفس الإنسانية وملامسة أبعادها هذه النفس التي لاتخضع في جوهرها وأســسها الأولى لظرف الزمان ولا المكان ولا الجنس من دون الأجناس الأخرى ولا لون ولا إلى الرجل دون المرأة، إنما قصد بها الإنسان من حيث هوإنسان فهي ذاخرة بالمثل العليا في وحدانية خالصة، وعدالة مطلقة ومساواة تامة وخلق رفيع ووقوف إلى جانب الخير، وسعى لاستئصال الشر، وحرب الفقر والبؤس، ورُقي روحي يصل بالله عز وجل.

الغنى في الأفكار والمعاني:

والغنى في الأفكار والمعاني فمعاني الحديث الواحد كثيرة متعددة، والدليل على ذلك استنباط العلماء للافكار والأحكــام العديدة من الحديث الواحد، والسنة لم تترك معنى من معاني الحــياة ولا العقيدة والتشريع إلا وقررته وفصلت فيــه القول على نحويتم فيه هدف القرآن الكريم من إقامة المجتمع الأفضل[2] .

[1]- الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه . د. محمد لطفي الصباغ،ط الرابعة 1402هـ 1982م \ ص59.
[2]- الصباغ محمد لطفي الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه،ط الرابعة 1402هـ 1982م \ ص59

العمق:

أما عمق الأفكار فيتضح في أننا نلمس الحقيقية المجردة واضحة بينة، فلا يدع الحديث الشريف جانبا من الفكرة إلا سلط عليه الضوء، ولاعجب في ذلك لأنه قبس من نور الله، وتتضح معاني الحديث وتتفتق عن جديد. كان الماضون يفسرون معانيــه بما هومتاح في أيامهم ولاتزال الأيام المقبلة تحمل الكثير وقد قال الرافعي عنه :" إنه كلام كلما زدته فكراً زادك معنى" [1]

الجدة:

الحديث فيــه معانٍ جديدة فاجأت الدنيا كلها، كالدعوة للمساواة، إذ كان العالم يؤمن بالطبقية والأسياد والعبيد والمصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعلمهم (إن أكرمكم عند الله اتقاكم) (وليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى) .

الإحكــام:

بمعنى أن المعنى صحيح في نفســه، مصيباً الحقيقة ذاتها، فيلازم المعنى المؤدي الحق فمهما تغيرت الأحوال وتبدلت الظروف، يكون صادقاً أبدا، ملماً بالحقيقة من كل أطرافها.

ومن الإحكــام أيضاً الدقــة والانسجام، والتوافق والتسيد والتسلسل، مما يجعل جزيئات معاني الحديث الواحد مترابطة محبوكة يشد بعضها إلى بعض تماسك مثبت، فكل جزئية من الحديث متــممة لما قبلــها مــمهدة لما بعدها. وهكذا يتضح أن معاني الحديث محكمة منسجمة، قد خلا الحديث من كل مالا صلة له بالمعنى، وليس فيه اضطراب ولانقص ولا إحالة، حتى كأن تلك الألفاظ القليلة إنما ركبت علي وجه تقتضيه طبيعة المعنى في ذاته، وطبيعته في النفس الإنسانية، فمتى وعاها السامع واستوعبها القارئ تمثل

[1]- الرافعي مصطفى صادق / وحي القلم \ج 3 ص 8

المعنى في نفســـه على حسب ذلك التركيب حتى كان هذا الكلام انقلب قي نفسه إحساساً يحسه[1].

خصائص أسلوب الحديث :

من خصائص اسلوب الحديث: الجزالة والوضوح والإيجاز والتصوير والوصف والايقاع والحوار .. الخ

الجزالة:

في المفردات والوضوح في الدلالة فلا مفردات غربية، ولا أساليب معقدة، ففيـــه متانة في التركيب وفخامة في الإيقاع غير مبتذل، فكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يؤثر الوضوح ليفهم حديثـــه حتى أنه كان يترك لهجة قريش ويكلم القبائل بلهجتهم التي ألفوها.

قال العقاد :" إن السمة الغالبة على حديث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ هي الإبلاغ والبعد عن التكلف والتجديد في الأساليب " [2]

فلا تكلف في السجع ولا تصنع في الصورة بل يجري على السجيـــه، وقد كان السجع سمة النثر الفني في ذلك الزمان ويقصد في ذاته أي المعنى فيه يتبع اللفظ، كما يتسم بالغموض والإكثار من الكلمات الحوشية (الغربية) والاعتماد على الإيقاع ليوهم السامعين أنهم يستمعون إلى طلسمات الشياطين ومن أجل ذلك كرهـــه الرسول(صلى الله عليه وسلم).

[1]- انظر الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، محمد لطفي الصباغ،ط الرابعة 1402هـ 1982م .
[2]- العقاد عباس محمود، العبقريات، عبقرية محمد ص 74 .

التصوير:

من خصائص الحديث القدرة على التصوير والتشبيه الموحي، والتشبيه الموضح الذي يزداد به المعنى فخامة ويكون أقوى تأثيراً في النفس يحقق غرضه كاملاً.

ومن طرائف التصوير، مشاهد تصويرية تعتمد على القصة السريعة تارة، والموقف تارة أخرى، ومنها التشخيص الحي الذي يبين الحركة في الكائنات الجامدة، ومنها الكناية، ومنها المجاز، مثلاً صورة وردت عن طريق الاستعارة في قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ "رفقا بالقوارير"[1] عن طريق الكناية لما في قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ " من كشف خمار امرأته ونظر إليها وجب الصداق دخل بها أولم يدخل" [2].

دقة الوصف:

أوصاف الحديث جاءت مقتضبة، فمن خصائص الحديث اللازمة الإيجاز، وقد خلا الحديث النبوي من وصف الطبيعة والجمال، لأن الوصف هنا يعتمد على الخيال، والخيال دعامة من دعائم الشعر، ولا موضع له في الحديث إلا ماكان تمثيلاً،لأن بلاغة الحديث النبوي موجهة للدعوة، أما موسيقى الحديث فتنطلق من حروف الكلمة الواحدة التي تكوّن الموسيقى الداخلية للكلمة، والكلمات مجتمعة تكوِّن الموسيقى الداخلية للجملة، ومن جمل الحديث تتكون موسيقى الكلام.

وتتجلى موسيقى الكلام في اختياره ــ صلى الله عليه وسلم ــ الكلمات ذات الإيقاع المحبب بحيث يتوافر لكل كلمة أمران مهمان في إعطاء الكلمة موسيقاها المؤثرة هما:

---

[1]- رواه البخاري في صحيحه \ كتاب الأدب (باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه)، حديث رقم (6149)، والامام مسلم عن أنس بن مالك في كتاب الفضائل، باب (رحمة النبي للنساء وأمر السواق مطاياهن بالرفق بهن) حديث رقم(2323)، ورواه أيضاً الإمام أحمد في مسنده في عدة مواضع منها (12041) و(12090) و(12165) وغيرها .

[2]- ابوبكر مسعود بن أحمد الكاساني \ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع \ دار الكتب العلمية 1986م \ط2 \ج2 ص(292).

التعاطف بين اللفظ والمعنى والانسجام في ايقاع الحروف.

والموسيقى في الجملة تعود إلى الانسجام في إيقاع الكلمات، وإلى التأليف بين حروف الكلمات فلا حرف ثقيل، ولا انتقال مفاجئ من إيقاع إلى إيقاع، كما يلاحظ أن موسيقى الحديث النبوي تختلف باختلاف الغرض، ففي مجال الوعظ والترهيب تجد القوة والفخامة، وفي مجال الدعوة والترغيب تجد الرقة والليونة وفي الدعاء قبل النوم تجد اللحن الهادي الخفيف وفي الدعاء عند الحرب تجد اللحن الحماسي العنيف .

الحوار:

أسلوب الحوار يضفي الحيوية على النص ويرفع الملل والشرود ويشد انتباه السامع، ويجعل الإقبال على متابعة النص أشد، والذهن أكثر تفتحاً وتجاوباً.

ومن صفات الحوار الجيد التركيز والإيجاز لأن الطول في العبارة الحوارية يميت الحيوية كان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتخذ الحوار وسيلة لتعليم أصحابه ليحرك أذهان صحابته في الموضوع الذي يريد أن يتحدث فيه. وتشترك في هذا التحفيز كل قواه وطاقاته وكانت لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ طرق في إثارة الحوار منها:

أن يأتي بجملة تبدوغريبة لأول وهلة، وقد تكون معارضة لما تعلم الصحابة من أحكــام الدين فتــستثير أسئلتهم ولا يسكتون على أمر يرونه غريباً أومتعارضاً مع ما فهموا من أحكــام دينهم مثل قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: " انصر أخاك ظالماً أومظلوماً "[1] فيسأل رجل من الصحابة ــ صلى الله عليه وسلم ــ أرأيت إن كان ظالماً فكيف أنصره ؟ وعندها يجاب بإجابة تعني أن تمنعه من الظلم فيتمكن الجواب في نفســه.

ومن الطرق أن يورد السؤال بشكل مشوق يُرغبهم في أن يعرفوا الجواب بقوله (ألا أدلكم على مايمحوالله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يارسول الله قال:" أسباغ

[1]-الألباني محمد ناصر الدين, ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل, المكتب الإسلامي_بيروت,ط2,ج8,ص97.

الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط "[1]

ويوجد في الحديث ماليس فيه جواب السامعين،إنما في الحديث السؤال والجواب. ومن الطرق أيضاً أن يوجه سؤالاً لاصحابه وينتظر اجابتهم،ويناقشها معهم ويبين لهم الصواب. وتحدث حوادث نتيجة لاسئلة الصحابة، وهنالك أحاديث صيغت على شكل قصص قصيرة فمنها القصة والعبرة والدعوة، والحوار من دعائم القصة .

الايجاز:

من خصائص أسلوب الحديث النبوي الشريف الإيجاز، وهوتأديـــه المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة وهوثالث الإطناب والمساواة، وهوفي القرآن الكريم، وفي أحاديث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ والإيجاز قوة في التعبير وهوأصلح للحفظ والرواية، والإيجاز هوالسمة التي تميز الحديث النبوي وبذلك وصفه البلاغيون من النقاد : قال ابن رشيق : " ومن أولى منه بالفصاحة وأحق بالإيجاز"[2]

وقال ابوهلال العسكري :"معاني هذا الكلام أكثر من الفاظـــه" وإذا أردت أن تعرف صحة هذا فحلها وابنها بناءً آخر، فإنك تجدها في أضعاف هذه الآلفاظ"[3].

والإيجاز من سمات حديث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد قال عليه الصلاة والسلام : "أوتيت جوامع الكلم" وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يأمر بالإيجاز فقد روي أنه قال لجرير بن عبدالله البجلي ياجرير :" إذ قلت فأوجز وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف "[4]

---

[1]-انظر الألباني محمد ناصر الدين, صحيح الترغيب والترهيب, مكتبة المعارف-الرياض,ط5,ج3.

[2]- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه \ (تح) محمد محي الدين عبدالحميد\ دار الجيل ط5 \ج1\ ص 255.

[3]- أبوهلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر \ (تح) مفيد قميحة \ دار الكتب العلمية ط1 \ ص141.

[4]- حديث صحيح \ رواه أحمد والترميذي.

ومن روائع الأيجاز في الحديث النبوي عن سفيان بن عبد الملك قال: (قلت يارسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسال عنه أحداً غيرك قال: قل آمنت بالله ثم استقم "[1] فقد حوى هذا الحديث أهم ركنين للحياة السامية التي يجب ان ينعم بها كل انسان، الإيمان بالله والعمل بمقتضاه بمعنى العقيدة الحقة والسلوك المستقيم، وهذا ما يؤديإلى الفوز بخيري الدنيا والآخـــرة قـــال تـــعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[2].

ومن الأمثلة القوية في تربية النفس وتعديل العوج منها ماجاء عن شداد بن أوســـ رضي الله عنه ـــ وهوحديث موجز قال رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفســـه هواها وتمنى على الله الأماني"[3]، فمن مستلزمات الكياسة محاسبة النفس لتقويمها وترويضها وحملها على الجادة السوية لمنع الغفلة والانزلاق والانحراف حتى لاتستعبده الشهوات ثم استثمار الوقت في العمل الصالح ويوضح الحديث أن العجز الحقيقي هوهزيمة المرء أمام نـــفـــســـه وانهيار الأماني مع ســـوء عمله.

الاصالة:

من خصائص أسلوب الحديث النبوي الأصالة وقد عرفها الزيات " بأن يكون أسلوب الرجل خاصاً به، لاينهج فيه نهج غيره وأن تكون في عبارته طرافة وجدة تحمل من يأتون بعده على أن يقتبسوها " [4] والأصالة تقوم على ركنين أساسين هما خصوصية اللفظ وطرافة المعنى والخصوصية تعني دلالة اللفظ التامة على المعنى المراد، اما الطرافة فتقوم

---

[1]– أخرجه مسلم، حديث رقم(38)، وانفرد به عن البخاري، وأخرجه الترمزي في (كتاب الزهد) باب ما جاء في حفظ اللسان \ حديث رقم (2410)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن اباب كف اللسان في الفتنة حديث رقم (3972).

[2]– سورة الأحقاف الآيتان (13–14) .

[3]– حديث صحيح رواه الإمام أحمد والترمذي عن أبي يعلي شداد بن أوس.

[4]–انظر الزيات أحمد حسن / دفاع عن البلاغة \ عالم الكتب اط2 _1967 م\ ص95.

على الابتكار في حكاية الخبر وتصور الفكرة، ولاتكون الجملة مبتكرة تثير الاعجاب وتحدث الأثر، إلا إذا وجدت الكلمة الخاصـــة التي تحدد الفروق وتحدد العلاقـــة، فبخصوصية الكلمة، وجدة العبارة يتحقق الطبع في الأسلوب، ويتجلى في الحديث الطبع الذي هوسِمة من الاصالة،الطبع الصافي الذي يورث الأسلوب الدقة والحيوية والوضوح والروعة.

إن الحديث النبوي غني بالأفكار والمعاني بدليل أن الحديث الواحد يمكن أن يستنبط منه عدة أحكام، وكذلك يمتاز بالعمق فمعانيه تتضح لأهل كل زمان ثم تتفتق عن الجديد تبعاً لكل عصر وعلومه المتاحة.

والفاظه جزلة وواضحة وتراكيبه متينة تؤدي المقصود منها وحافل بالتصوير المؤثر في النفس ويستخدم أسلوب الحوار المؤدي للتجاوب بين المخاطِب والمخاطَب (المتلقي).

الفصل الأول

المرأة قبل الإسلام وبعده

المبحث الأول

وضع المرأة قبل الإسلام:

كان القرنان السادس والسابع الميلاديان من أحط أدوار التاريخ البشري وأن العالم كان يعيش في ظلمات وطغيان واستبداد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم جميعاً إلا بقايا من أهل الكتاب)[1]. فقد كان القانون السائد (الحق هوالقوة والقوة هي الحق)، فقد اغتالت الوثنية الديانات المقدسة وأحالتها إلى خرافات وضلالات شركية لا صلة لها بالأصل الرباني .

أما المسيحية فقد تعرضت لتحريف الضالين وتأويل الجاهلية ووثنية الرومان المنتصرين منذ عصرها الأول، وقد وصفهم القرآن وصفاً دقيقاً يصور ما كانوا عليه من شرك ووثنية وتدهور خلقي وانحطاط نفسي وفساد اجتماعي، قال تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[2]،قال تعالى:(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوسُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ

---

[1]– الندوي ابوزكريا محي الدين يحي ين شرف / المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ دار احياء التراث العربي _بيروت /ط(2) 1392ه – ج 17 ص 197

[2]– سورة المائدة الآية 73.

إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوكَرِهَ الْكَافِرُونَ)[1]ثم كانت هناك المجوسية وعبادة النار مع الأساطير التي اكتسبوها من إله الخير وإله الشر كما في الزادشتية والمانوية ومذهبيهما اللذين يدعوان إلى فناء البشرية وعدم الزواج حتى لا يكون هنالك تناسل وتكاثر، فالإنسان أنزل بالخطأ من الجنة فالخطيئة واللعنة مستمرة باستمرار وجود الإنسان ولا تنتهي إلا بفنائه، ولا يتم ذلك إلا بعدم الزواج بل الرهبانية والعزوبة،أما (المزدكية) فهي التي تدعوإلى إباحة النساء بلا زواج وكذلك إباحة الأموال، فضاعت الأنساب وانتشرت الفوضى وانتشر الفساد حتى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك كانوا يقدسون أكاسرتهم ويظنون أن في عروقهم دم إلهي يقول أبوالحسن الندوي: "أما الهند فقد اتفقت كلمة المؤلفين في تاريخها على أن أحط أدوارها ديانة وخلقاً واجتماعياً ذلك العهد الذي يبتديء من مستهل القرن السادس الميلادي". وبذلك تكون قد ساهمت في نشر التدهور الخلقي والاجتماعي وانفردت بظواهر خاصة بها ككثرة المعبودات والآلهة وكثرة الشهوات المنفلتة والتفاوت الطبقي المجحف والامتياز الاجتماعي الجائر[2]

أما البوذية والوثنية فانتشرت في الهند وآسيا الوسطى، وكان أكثر أتباعها في الصين، على الرغم من أنها ولدت في الهند، وقد ابتلي العرب بوثنية أشد من الوثنية الهندية فانغمسوا في عبادة الأصنام حتى صار لكل قبيلة صنم خاص ولكل بيت صنم وكان في جوف الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً. وهكذا فقد عاش العالم في ظلمات العقيدة وإغراق في الوثنية. ومن الأقوال التي تمثل رأي الفلاسفة وبعض رجال الدين من النصارى وهي تمثل قناعتهم وتصديقهم وإيمانهم بها وهي تدعوللعجب والدهشة، وتدعومن يطلع عليها إلى المقارنة بينها وبين المكانة السامية التي رفع الإسلام المرأة اليها وإنقاذها من الوهدة التي

---

[1]– سورة التوبة الآيات 30–32.

[2]– الندوي أبوالحسن علي الحسن، ماذا خسر العالم بانحاطا المسلمين ط 10 1394–1974 / ص(55–56).

كانت ملقاة فيها قال أرسطو: "المرأة رجل غير كامل، وقد تركتها الطبيعة في الدرك الأسفل من سلم الخلق"[1]، وقال أحد قديسي النصارى وهوترنوليان عن المرأة:(إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ناقضة لنواميس الله)[2].

وقال آخر:(إنها شر لابد منه وإغواء طبيعي، وكارثة مرغوب فيها وخطر منزلي)[3]. وقال سان بونا فتور: (إذا رأيتم المرأة فلا تحسبوا أنكم ترون كائناً بشرياً بل ولا كائناً وحشياً، وإنما الذي ترونه هوالشيطان بذاته والذي تسمعون هوفحيح الأفعى)[4].

يقول ترتولين للنساء: (هل تعلمن أن كل واحدة منكن حواء؟ لذلك يستمر حتى اليوم توبيخ الله لكُن وجنسكن عامة وهذا ما يسمى في المسيحية لعنة حواء الأبدية)[5] ومنهم من رأى أنها شخصية مدثرة بالأسرار، وان العقل الإنساني لا يستطيع التحدث عنها بطلاقة دون خطأ.

حياة العرب الاجتماعية والخلقية:

في المجتمع العربي ساءت الأخلاق، وفسدت الأذواق فأولعوا بالخمر وتفشت المنكرات من زنا وفجور وربا وغارات ونهب وسلب، وقطع الطريق، وسقطت مكانة المرأة، فكانت تورث كما يورث المتاع أوالدواب، ووأد بعضهم بناتهم، وكانت العصبية القبلية والرابطة الدموية كأنها الدين أوالعقيدة. يقول مسيوجول لابوم الفرنسي المشهور: في مقدمة الفهرس الذي وضعه للقران الكريم المترجم للفرنسية (حوالي ميلاد محمد نبي الإسلام ــ عليه الصلاة والسلام ــ في القرن السادس الميلادي كان جوالعالم ملبداً بغيوم الاضطراب والفتن

---

[1]–انظر ابراهيم محمود عبد الراضي / نساء في حياة الانبياء ط 1 1457 هـ /2000م

[2]– المصدر السابق .

[3]– ابراهيم محمود عبد الراضي \ نساء في حياة الانبياء ط1 1457– 2000م ص26

[4]– المصدر نفسه

[5] –المصدر نفسه ص 26.

الوحشية في كل مكان حتى اعتمد الناس في سبل حياتهم على وسائل الشر أكثر من اعتمادهم على وسائل الخيـــر في هذه الأحوال الحالكة المظلمة ولد محمد بن عبد الله رســـول الإسلام ليتابع طريقه فيخليص الأمم من فجورها ودفعها إلى سبيل الرقي والقرآن، حتى بلغت الغايات البعيدة التي خلقت لبلوغها)[1].

ويطلق على الفترة التي سبقت الإسلام ــ أي مائة وخمسين سنه ــ (الجاهلية) وهي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق فهي تقابل كلمة الإسلام بمعنى الخضوع والطاعة لله عز وجل. وقد جاءت كلمة الجاهلية في القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر الجاهلي بمعنى الحمية والطيش.

قال تعالى: (خُذِ الْعَفْوَوَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)[2]وقال تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)[3]

وفي الحديث النبوي الشريف قال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر وقد عَير رجلاً بأمه(إنك امرؤ فيك جاهلية) وقال عمروبن كلثوم التغلبي:

ألا لا يَجْهَلَنْ أَحدٌ علينا *** فَنَجْهَلَ فَوق جَهلِ الجَاهِلِيْنا[4]

كان النظام القبلي هوالسائد عندهم، والقبيلة تتألف من ثلاث طبقات من أبنائها وهم من يربط بينهم الدم والنسب وهم عماد القبيلة، والعبيد هم رقيقها المجلوب من البلاد المجاورة وخاصة الحبشة، الموالي وهم عتقاؤها ويدخل فيهم الخلعاء وهم من كثرت جناياتهم في القبيلة فطردوا منها ــ وقد يستجير الخليع بقبيلة أخرى فتجيره فيصبح له حق التوطين في القبيلة الجديدة، ومن واجبه الوفاء بحقوقها، كأبنائها ومنهم طائفة الصعاليك المشهورة، وأهم

---

[1]– كامل سلامة الدقسي / دولة الرسول من التكوين إلى التمكين \ دار عمار للنشر والتوزيع ط\1 ص104

2– سورة الاعراف الآية 199.

3 – سورة الفرقان الآية 63.

[4]– شرح المعلقات التسع _ منسوب لابي عمروالشيباني ت 206 هـ \ (تح) عبدالمجيد همو_ \ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات _ لبنان ط1 _ 1422–2001م ج1 ص374.

ما يميز حياتهم أنها كانت حياة حربية تقوم على سفك الدماء فهم أما قاتلون أومقتولون لذا كان قانون الثأر من أهم قوانينهم يخضعون له جميعاً وهوشريعتهم المقدسة، لذلك لا يرضون بالدية ويرونها ذلاً ومهانة إلا بعد أن تنهكهم الحرب ولهم أيام مشهورة في تاريخ وحروبات طويلة المدى تستمر لسنوات طويلة.

وقد كانت الشجاعة والفروسية والكرم والوفاء وإباء الضيم من أهم صفات ساداتهم، وفي مقابل هذا كانت تشيع في هذا المجتمع آفات كثيرة كالخمر، واستباحة النساء، والقمار أوالميسر، ومما يؤيد ذلك أن القرآن الكريم قد نهى عنها في كثير من الآيات. وكان هناك نوعان من النساء، حرائر وإماء "كثيرات فقد كنّ في منزلة أقل، فمنهن من يتخذ البغاء مهنة أوقينات. كما كان منهن جوارٍ يخدمن الشريفات، وقد يرعين الإبل والأغنام، وكان العرب إذا استولدوهن لم ينسبوا أولادهن إلى أنفسهم إلا إذا اظهروا شجاعة فائقة ترد إليهم اعتبارهم، وكان أكثر ما يثيرهم سبي النساء وهم بعيدون عن الحي[1] .

وقد كان لبنات الأشراف والسادة منزلة خاصة، فمنهن من كانت تحمي من يستجير بها، وكان بعضهن يسهم في الحرب بالأشعار الحماسية كالخنساء، وقد أكرم الإسلام المرأة بأن حرم أنواع معينة من الزواج كزواج المقت وزواج الشغار وزواج الابن من امرأة أبيه بعد موته، أويتزوج عدة رجال إمرأة واحدة وغير ذلك من أنواع الزواج التي كانوا يستبيحونها،وكذلك حرّم الإسلام وأد البنات قال تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)[2].وكانوا يكرهون أن تولد لهم البنات قال تعالى :(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ

[1]- شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، دار المعارف ط1 1426-2010م ص70
[2]- سورة التكوير الآية (8-9) .

مُسْوَدًّا وَهُوكَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)[1].

مما سبق يتضح لنا مدى الظلم الذي لحق بالمرأة في الجاهلية ومدى ما كانت تقاسيه وتعاني منه من العادات والتقاليد الجائرة والقسوة المذلة لإنسانيتها والمهينة لكرامتها.

1- سورة النحل (58-59).

المبحث الثاني

مكانة المرأة في الإسلام

عندما جاء الإسلام رفع قيمة المرأة وحافظ على كرامتها. أماً وزوجةً وابنةً وأختاً وقبل كل ذلك إنساناً، فهي مكلفة كالرجل تماماً مخاطبة بأمر الله ونهيه، مثابة ومعاقبة، وأول تكليف إلهي صدر للبشر خوطب به الرجل والمرأة معاً إذ قال تعالى: (وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)[1]وليس في القرآن الكريم ما يجعل المرأة مسؤولة عن إخراج آدم ــ عليه السلام من الجنة ــ كما في التوراة.ــ ولا يتصور أن يكون في الإسلام أي انتقاص لحق المرأة أوحيف عليها على حساب الرجل، فإن الإسلام هوشريعة الله سبحانه وتعالى وهورب الرجل والمرأة جميعاً. لكن بعض الأفكار الجاهلية النابعة من الوثنية تسربت إلى عقول طائفة من المسلمين فساءت تبعاً لذلك تصوراتهم لشخصية المرأة ولدورها، وتبعاً لذلك ساء سلوكهم في معاملتها، وتعدوا حدود الله فظلموا أنفسهم وظلموها، خصوصاً في عصور التخلف التي بعدوا فيها عن الحديث النبوي، حيث نظروا إليها نظرة استعلاء فاستهانوا بها، فهي عندهم وسيلة إبليس في الإضلال، ناقصة العقل والدين، فهي مخلوق ناقص الأهلية، حتى أن بعضهم ارتد إلى الجاهلية، فحرم البنات الميراث، ومن تلقي العلم، وحبسها في البيت، مع أن القرآن الكريم جعل الحبس في البيت عقوبة لمن تأتي الفاحشة، ويشهد عليها في الملاعنة أربعة من المسلمين يقول الله تعالى: (وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ

1- سورة البقرة الآية 35.

أَويَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا)[1]. هذا ــ قبل استقرار التشريع على حد الزنى ــ مع علمهم أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، فمن أمهات المؤمنين ونساء الصحابة والسلف من بلغن مكانة عظيمة في العلم والفقه ورواية الحديث بالإضافة إلى الشعر والأدب وفنون القول.

ومن بعد هذه الكوكبة المتميزة جاء مثل كريمة بنت أحمد المروزية إحدى راويات صحيح البخاري ونسختها إحدى النسخ المعتمدة التي نوه بها الحافظ ابن حجر العسقلاني في(مقدمة شرح فتح الباري). ووصل الأمر بهن إلى أن منعن من المساجد وقد كن يشهدن الصلوات حتى في العشاء والفجر وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله)[2] وقد حرمت من المشاركة في الأعمال المشروعة مع أن السيرة تحكي مشاركة النساء حتى في الغزوات، كما استعانوا بأحاديث لا يعرف لها أصل ولا سند أوأحاديث واهنة شديدة الوهن أوموضوعة مكذوبة عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ونتيجة لذلك فقد ساد اتجاه التزمت والتشديد على المرأة وسوء الظن بها والسبب في ذلك كما ذكر عبدالحليم أبوشقة :

أولاً: جهل الأكثرين بالنصوص الشرعية التي تتضمن التيسير وتقاوم التعسير، وخاصة نصوص السنة النبوية الشريفة الصحيحة، فإن نصوص القرآن الكريم معلومة للجميع. وقد استغنى الناس بكتب المذاهب عن الكشف عن السنة وكنوزها وقد ترتب على هذا أن كثيراً من المسلمين يغفلون عن أحاديث صحيحة ويستدلون بأحاديث ضعيفة أوموضوعة.

1– سورة النساء الآية 15.

[2]- صحيح , اخرجه الإمام احمد (2-16- 36) والبخاري (2-70) ومسلم في صحيحه (1-126) وابوداود(1-565 عن ابن عمر).

ثانياً: سوء فهم النصوص التي عرفوها بوضعها في غير موضعها أوقسرها على استنباط أحكام منها لا تدل عليها إلا باعتساف أوبترها عن سبب وردوها أوعن سياقها أوعزلها من باقي أحكام الإسلام ومقاصده الكلية فلا يوفق بين بعضها وبعض[1].

المرأة المسلمة في العهد النبوي:

المرأة المسلمة في العهد النبوي كانت على وعي كامل بشخصيتها التي قرر الإسلام معالمها، ومارست الحياة في كل مجالاتها انطلاقاً من وعيها هذا متقيدة بمجموعة من الآداب التي تصون المرأة وتحفظها ولا تعطلها من المشاركة، حسب ظروف الحياة وحاجاتها في عصر الرسالة، فشاركت في النشاط الاجتماعي والسياسي فتحملت في سبيل عقيدتها الاضطهاد والتغريب والهجرة فأولى المؤمنات امرأة وأولى الشهيدات إمراة والمؤتمنة على أمر الهجرة امرأة، رضي الله عنهن، ــالسيدة خديجة بنت خويلد، والسيدة سمية بنت الخياط، والسيدة أسماء بنت أبوبكر وهذا للمثال لا الحصر.

وعندما تجد أوضاعاً اجتماعية في عصر من العصور تبقى القواعد والمعالم التي حددتها الشريعة هي التي تحكم تلك الأوضاع أبدا، كغض البصر وستر البدن والوقار في الحركة والجدية في التخاطب. وقد شاركت المرأة في رواية السنة ولم يؤثر عن امرأة أنها كذبت في حديثها ولم ينقل عن أحد العلماء بأنه رد خبر امرأة لكونها امرأة فكم من سنة قد تلقتها الأمة بالقبول من امرأة واحدة من الصحابة، هذا لا ينكره من له أدنى نصيب من علم السنة)، والإسلام كرم المرأة أماً وزوجة وبنتاً فلم يقهرها ولم يسلبها حق أبداء الرأي فعن عمر ــ رضي الله عنه ــ قال: إنه دخل على حفصة فقال لها: يا بنية إنك لتراجعين رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى يظل يومه غضباناً؟ فقالت حفصة: والله إنا لنراجعه فقلت: تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: ثم

2-أبوشقة عبدالحليم محمد \ تحريرالمراة في عصر الرسالة \ دار القلم للنشر والتوزيع ط5 1999م \ج1 \ ص20..

خرجتُ حتى دخلتُ علي أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها فقالت أم سلمة: عجباً لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شئ حتى تبغي أن تدخل بين رســول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأزواجه فأخذتني والله أخذاً كسرتني عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها"[1].

ولم تحرم من المشاركة حتى في الجهاد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ (ولقد رأيت عائشة ــ رضي الله عنها ــوأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقيهما تنقزان القِرب على متونهما تفرغانها في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم) [2] .المرأة ليست لغزاً معقداً ولكنها كائن مختلف عن الرجل قال تعالى: (وليس الذكر كالأنثى) (ولم يقل الأنثى كالذكر) ليس فقط من حيث تكوينها البيولوجي ولكن أيضاً من حيث تركيبها النفسي والعاطفي والفكري، والمرأة تمتاز بنسبة أعلى من الذكاء العاطفي والانفعالي، وهي لذلك تمتاز بصدق الفراسة والبصيرة .

ومن السمات الجوهرية للمرأة (المرونة) فهي قادرة على التكيف مع الظروف المتغيرة ومواجهتها بما يتلاءم معها فهي تقوم بدور تفاوضي داخل الأسرة لتقرب وجهات النظر بين الأب والأبناء فتخفف من شدة الأب وشطط الأبناء حتى تصل إلى نقطة توازن مقبول بين الطرفين. ولها من المقدرة على التعامل وفي نفس الوقت مع ابنها الأكبر وتفهم احتياجاته، وكذلك مع صغيرها الذي في المهد والإحساس بما يحتاج إليه وهذا مما حباها الله ــ عز وجل ــ به، وهوواقع معيش تستطيع ملاحظته في الأسر.

---

[1]-مسلم بن الحجاج أبويوسف, صحيح مسلم, دار احياء التراث العربي,ج2 ,ص1108.

2- ورد الحديث في صحيح البخاري باب غزوالنساء وقتالهن مع الرجال حديث رقم (2880) ص 56، وفي صحيح مسلم \ كتاب الجهاد والسير حديث رقم(1810) –(1811)، كما ورد في سنن الترمزي باب السير حديث رقم (1575)، وورد في سنن أبي داوؤد \ كتاب الجهاد حديث رقم (2531).

شخصية المرأة في القرآن الكريم:

الأصل في خطاب الشارع كتاباً وسنة أنه موجه للرجال والنساء سواء والفوارق استثناء في الأصل، ومما قرره القرآن أن الرجل والمرأة من أصل واحد قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)[1]، وليس كما يدعي البعض إنما طبيعتها تختلف عن طبيعة الرجال كما في بعض الديانات والاعتقادات القديمة، وإن المرأة مسؤولة ومحاسبة بعملها قال تعالى:(وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا)[2]، وقد رفع عنها مظالم الجاهلية كالضيق عند مولدها وإهانتها ووأدها ووراثتها كالمتاع قال تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)[3] قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آَتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)[4].

وقد أكد القرآن الكريم على شخصية المرأة حيث ذكرها بجوار الرجل قال تعالى: (وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)[5]قال تعالى:(فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى *إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا

---

[1]- سورة النساء الآية (1).

[2]- سورة النساء الآية (124)

3- سورة التكوير الآية (8-9).

4- سورة النساء الآية (19).

5- سورة البقرة الآية (35).

سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى * قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوفَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى)[1]هذه الآيات تبرئ حواء ــ عليها السلام ــ من التهمة الأبدية التي ألصقتها بها بعض الديانات أي ما أسموه ب (لعنة حواء) الأبدية، بكونها هي التي وسوست لآدم في زعمهم.

قال تعالى:(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)[2].

وأكد القرآن الكريم على استقلال شخصية المرأة واختيارها بين الإيمان والكفر قال تعالى:(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آَمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[3].

وقد نظم الإسلام حياتها الأسرية فجعل الأسرة تقوم على المودة والرحمة والسكن، ونظم تعدد الزوجات وأمر الرجال بالعدل والإصلاح والتقوى، وحافظ على حقوقها بتنظيم العلاقة وإعطائها حق العودة إلى زوجها إذا أرادت ذلك من غير عضل .

وساوى بينهما في براءة الذمة وقوة اليمين. وجعل الإسلام لها حق في الميراث بعد أن كانت تورث كالمتاع. قال تعالى: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ

---

[1]- سورة طه الآيات (117-123) .
[2]- سورة الأحزاب الآية (35).
[3]- سورة التحريم الآيات (10-11)

نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوكَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا)[1]، وجعل لها حق التملك أي حق امتلاك الأموال وإدارتها، وإدارة الأسواق.

وقد شاركت المرأة المسلمة في أول الدعوة في الهجرتين إلى الحبشة ثم في الهجرة إلى المدينة وكذلك شاركت في البيعتين قبل انتشار الدعوة بيعة العقبة الأولى والثانية، وقرر أهليتها للشهادة على أساس النصف من شهادة الرجل وشهادتها التامة في الأمور التي تخص النساء، وحافظ على سمعتها قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[2].

وقد شاركت النساء المسلمات في الحياة الاجتماعية حتى في الحرب كان لها دورها وما خولة بنت الأزور ببعيدة، وإذا دعتها الدواعي حملت سيفاً وكانت مثل نسيبة بنت كعب، وتجادل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في حقوقها والله يسمعها من فوق سبعة سماوات قال تعالى:(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)[3]، وهي فوق ذلك كله مراعية للأدب والضوابط الشرعية من ستر للبدن وغضّ للبصر ووقار في الحركة وجدية في التخاطب.

أورد د. محمد بلتاجي في إجابته في المبحث الثالث من كتابه هل للمرأة أن تتولى وظائف القضاء؟ فقال:(يرى معظم الفقهاء أن الذكورة شرط لازم للقضاء وصحة الحكم لأنهم يشبهون القضاء بالإمامة الكبرى، ولأن القضاء يحتاج إلى كمال العقل والخبرة بشؤون الحياة والمرأة ناقصة العقل قليلة الخبرة بهذه الشئون ولأن القاضي يحتاج إلى

[1]– سورة النساء الآية (7).

[2]– سورة النور الآيات (4–5) .

[3]– سورة المجادلة الآية (1) .

الاختلاط بالرجال من الخصوم والشهود والمرأة ممنوعة من ذلك خوف وقوعها في الفتنة والخلوة)[1] فقد حُكم على المرأة بنقصان العقل بناءً على الحديث التالي:

(خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أوفطر إلى المصلى فمر على النساء فقال: يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقلن وبم يا رسول الله قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير فما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن، قلن وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن بلى يا رسول الله قال فذلك من نقصان عقلها)[2] رواه مسلم على النحوالتالي (عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة منهن (جزلة) بمعنى عاقلة أصيلة الرأي أوعظيمة الجسم (ومالنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن قالت: يا رسول الله ما ناقصان العقل والدين قال: أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين)وهاتان الروايتان توضحان سياق الكلام وظروفه ومضمونه لأن الكثير من الناس توسعوا في دلالته وما يبنى عليه متأثرين في ذلك بنظرتهم الخاصة وذلك أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ (كان في يوم أحد العيدين الفطر أوالأضحى وقد خرج رجال المسلمين ونساؤهم أيضاً حيث كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يأمر بأن تخرج العواتق وذوات الخدور وتعتزل الحيض المصلى وكان منهجه في صباح هذا اليوم أن يبدأ بالصلاة ثم

---

[1]– انظر البلتاجي محمد / الحقوق السياسية والاجتماعية والشخصية للمرأة في المجتمع الإسلامي \ ط 3،1426هـ – 2005م .

[2]– البخاري الجامع الصحيح \ كتاب الحيض(باب ترك الحائض الصوم) حديث رقم (304) ج1 ص68.

يخطب ثم ينزل فيمر على النساء فيذكرهن وهويتوكأ أحياناً على يد بلال وبلال باسط ثوبه يلقي فيه النساء الصدقات التي يتطوعن بها وكان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ينتهز فرصة تجمعهن في المصلى، هذا هوالجوالعـــام الذي شهد الحـــوار بينه وبين النســـاء. وبدأ الحوار صلى الله عليه وسلم بحث النساء على الصدقة ويبدوانه أراد ملاطفتهن وحثهن على الصدقات، فأمرهن مع الصدقة بكثرة الاستغفار والسبب في ذلك أنه لما اطلع على النار رأى أكثر أهلها من النساء. وكان من عاداته أن يمزح ولا يقول إلا حقا ومع ذلك اطلع على الجنة فوجد أكثر أهلها من الفقراء واطلع على النار فوجد أكثر أهلها من النساء ولا يلزم أن تكون نساء النار التي اطلع عليها من صحابياته أومن المسلمات، وأضاف رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ متعجباً في عبارة لطيفة وفيها ممازحة (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم منكن) يتعجب ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أن المرأة مع نقصان عقلها ودينها تذهب عقل وحزم الرجل الحكيم فيتابعها في بعض أمرها، وفي كثير منه يشير إلى أن الذي يتفق مع طبائع الأمور أن يتبع الناقص العاقل ولكنه يتعجب لأن الذي يحدث هوالعكس، وهذا يوضح قوة تأثير المرأة على عقل الرجال وأكثرهم حزماً وحكمة.وليس فيه ذم أوانتقاص لها، أما الشهادة وخاصة في المعاملات المالية إذا كانت مداينة وخاصة في السفر فقد طلب الإسلام شهادة رجلين أورجل وامرأتان، وقد جعل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ شهادة خزيمه بشهادة رجلين ولم يبن على هذا لا هوولا أحد من الصحابة من المسلمين إنه أكبر عقلاً من غيره من الصحابة. حيث روى في مسند الإمام أحمد وغيره أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ابتاع فرساً من أعرابي فاستتبعه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليعطيه ثمن فرسه فطفق رجال يساومون الأعرابي بالفرس ولا يشعرون أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ابتاعه حتى زاد بعضهم

الأعرابي في السوم فنـــادى الأعرابي النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ان كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه وإلا بعته، فقام النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ حيث سمع إنذار الإعرابي أوليس قد ابتعته منك قال الأعرابي لا والله ما بعتك فقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بل ابتعته،فجعل الناس يلوذون بالنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهما يتراجعان فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني بايعتك فقال خزيمه أنا أشهد أنك قد بايعته فقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لخزيمه (بم تشهد؟!) قال بتصديقك يا رسول الله (فجعل رسول الله شهادة خزيمه الشهادتين رجلين). وهوخزيمة ابن ثابت الأنصاري يكنى بأبي عمارة ويعرف بذي الشهادتين شهد مع النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بدراً والمشاهد كلها وقال عنه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ (من شهد له خزيمه أوعليه فهوحسبه. وعلى الرغم من فضله ومكانته بين الصحابة فإن أحداً لم يفضله على أبي بكر وعمر وغيرهم من كبار الصحابة بسبب خصوصيته في قصة الشهادة هذه، ذلك أن الإسلام في تقييمه للأشياء والأشخاص ينظر نظرة شمولية متكاملة إلى مجموع كل ما يتصل بكل قضية ويبعد النظرة الأحادية التي تنطلق من واقعة واحدة فتذكرها وتبنى عليها الكثير وتصرف النظر عن بقية ما يدخل في التقييم. وإضافة إلى قصة خزيمه فقد صح عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قضى بالشهادة على الأموال باليمين مع شاهد واحد وقال مالك ــ رضي الله عنه إنما يكون ذلك في الأموال الخاصة)[1]، وفي إطار هذا السياق ينبغي أن نفهم مداعبة النبي صلى الله عليه وسلم للنساءرحمة بهن وتلطفا وحرصاً على تطوعهن بالصدقات ولم يقل في ذلك كله إلا حقاً، وعلى هذا فلا يصح ما يفعله بعضهم من التحقير للمرأة والانتقـــاص من حقوقها في أشياء كثيرة وكلمة متقطعة من سياقها وظروفها يتناقلها الناس مؤكدة ضعف

[1]–انظر الشيباني أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد \ مسند الإمام أحمد بن حنبل \ (تح) شعيب الأرنؤوط ,عادل مرشد\ مؤسسة الرسالة ط1 ,1421ه.

عقل المرأة في كل مجال وفي كل وقت ــ أين مشورة أم سلمة العظيمة الحكيمة على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في صلح الحديبية والنساء المبايعات في العقبة مع رجالهن والأمر يومئذٍ محاط بالسرية التامة فهل أفشت إحداهن السر ثم ماذا عن نسيبة بنت كعب الثابتة المدافعة عن النبي صلى الله عليه وسلم قتالاً بالسيف ورحى الحرب تدور، ولم يثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا قليل وثبات من نوع آخر تمثله السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

واخيراً وكما أتضح من كل ما سبق فإن المقارنة معدومة بين ما كانت تعيشه المرأة من أوضاع مزرية تحط من قدرها، وتشكك حتى في انسانيتها قبل الإسلام والمكانة العالية التي التي تبوأتها بعد الرسالة المحمدية، وما تمتعت به من حقوق لا تحلم بها النساء في كثير من بلدان العالم في عالمنا المعاصر، ثم مرت على المسلمين عصور من التخلف ثم الانبهار بالنماذج الغربية، فبعضهم انساق وراء هذه النماذج وبعضهم تقوقع وانفصل عن حركة الحياة فارتكسوا وانتكست نظرتهم للمراة، فحبسوها وحرموها من المشاركة في بناء المجتمعات الإسلامية.

الفصل الثاني

المقام والسياق ودورهما في تحديد المعنى

المبحث الاول

المقـام

المقام:

كلمة مقام من الفعل قامَ، يَقوم ــ قِيَاماً وَمقام (مصدر) و(اسم زمان) و(اسم مكان) [1]

وقد جاءت كلمة (مقام) في حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم): (دعه يا عمر عسى أن يقوم مقاماً تحمده). المقامات أنواع منها:

1/ **مقامات المتكلّمين:**[2]

1. **المتكلّم الذي يخاطب نفسه:** وهذا يستلزم التجريد (وهومن المحسنات المعنوية)، ويكون لأغراض بلاغية مثل:

أ. تسلية النفس أوإرضاؤها أوالتخفيف عنها.

ب. ليسوغ امراً ما مثل قول المتنبي:

لا خَيلَ عِنْدَكَ تهديها وَلا مالُ *** فَليسُعِدِ النُّطقُ إنْ لم تُسعِدِ الحالُ[3]

وضَّح فقره وأنه لا يمكن أن يهدي للممدوح شيئاً إلا الكلام أي الشعر.

جـــ عتاب النفس كقول الحماسي:

---

[1]- ابي منظور ابوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري \ لسان العرب\ ج12 مادة (قوم) ص224.

[2]- محاضرات ستنا محمد علي , في برنامج الدكتوراة بالمقررات , دفعة(1).

[3]– العكبري، ابوالبقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله البغدادي\ (تح) مصطفى السقا, إبراهيم الابياري \,عبدالحفيظ شلبي \ شرح ديوان المتنب _ دار المعرفة – بيروت ج3 ص 277.

أَقُولُ لِنَفسِي في الخَلاء ألومها **** لك الويلُ ما هذا التجلّد والصَّبْر[1]

2. **المتكلم الممنوع من التصريح (مقام التعريض):** المتكلِّم المؤدب فيخفي ما يريد قوله كقول السيدة عائشة رضى الله عنها: (ما رأى مني وما رأيت منه) [2].

3. **قد يؤدي المتكلِّم عن غيره:**

فيكون للمؤدى عنه صفات يظهرها المتكلم، أويكون هناك متكلِّم ينغلق عليه الكلام ويصعب عليه فيُسَاعد في هذا المقام ليفصح عن نفسه.

2/ هيئة المتكلّم:

مما يجب مراعاته في مقامات المتكلمين هيئتهم (فالهيئة) من الأمور الحضارية التي حرص عليها البلغاء. كاهتمامهم بلبس العمامة وحمل المخِصرة قضيباً كانت أوعصا أوقناة، وبعضهم يخطب على راحلته، والشعراء يلبسون الوشي والمقطعات والأردية السود والثياب المشهرة بمعنى أن لكل طائفة سمتها ولكل مقام لبوسه وهيئته. وأن هيئة المتكلّم ينبغي أن تناسب مقام كلامه .

3/ المخاطَب:

عنصر مهم من عناصر المقام، اعتنى به البلاغيون وسموه مراعاة حال المخاطب (المستمع) والمستمعين تتباين مقاماتهم فمنهم :

1. المستمع الذي تخاطبه وتعنيه بالكلام (الخطاب) ومكانه منك تصبغ الموقف بصبغة خاصة ينقاد إليها الكلام ويتسم بها التأليف وينتظم بها الحديث.
2. مستمع لا تخاطبه ولا تعنيه ولكن لاتستطيع أن تتجاهله بل تشركه في الاستماع إليك.

---

[1]- – الحماسة البصرية ج\1 (باب التأبين والرثاء) البيت للجعفي يرثي أخاه لأمه.

[2]-–علي بن سلطان القارئ \ جمع الوسائل في شرح الشمائل (باب ما جاء في حياء رسول الله – صلى الله عليه وسلم–)\ دار الأقصى ط1 \ج1 ورواه الترمذي في الشمائل، اورده ابن ماجة في كتاب الوفاء نقلاً عن الخطب

3. مستمع يدفع المتكلِّم إلى الإسراف في المقال.

4. مستمع يشترك في السماع دون مجلس المستمعين.

5. كما يتهيأ المتكلِّم للقول ويعد العدَّة له يجب على المستمع مثل ذلك كما قالوا: (لا تطعم طعامك من لا يشتهيه)، أي:لا تقبل بحديثك على من لا يقبل عليك بوجهه.

وقد دعا البلاغيون لاختبار الاستماع بتوجيه سؤال فيما قيل، لأن تصرف السامع يؤثر في المتكلم ونشاطه وقدرته على الاستمرار .

قد يكون الغرض من الاستفهام (السؤال) بلاغي مثل التوبيخ في قوله تعالى:(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[1]،أويكون المراد التكذيب.

أَيَقْتُلُنِي والمَشْرَفي مُضَاجِعِي *** ومَسنُونَةً زُرق كَأنيابِ أَغْوالِ[2]

أوكقوله تعالى: (أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا)[3]

أويراد التهكم:

لا تَظُننّ حَدبة الظّهْر عَيْباً *** فَهْى في الحُسْنِ من صِفاتَ الهِلالِ

وكذلك القِسِيُّ مَحدَودباتٍ *** وهِي اَنْكَى مِن الظُّبا في القتالِ[4]

أويراد التوبيخ:

أيا شجر الخَابُورِ مَالَكَ مُوْرِقٌ *** كَأنَّكَ لَم تَجْزَع على ابن طريف [5]

نية المتكلم:

---

[1]- سورة البقرة الآية (44)

[2]– القزويني، محمد بن عبدالرحمن / الإيضاح في علوم البلاغة (تح) محمد محي الدين عبدالحميد ص 39.

[3]- سورة الإسراء الاية(40).

[4]- الأزراري تقي الدين ابي بكر علي,خزانة الأدب وغاية الأرب,دار الهلال_بيروت,ط1,ج1,ص216.

[5]– القزويني، محمد بن عبدالرحمن / الإيضاح في علوم البلاغة (تح) محمد محي الدين عبدالحميد ص 378.

هي من العوامل التي تتحكم في قضية الفهم لكن لا تدل عليها الألفاظ وتفهم بالرجوع إلى أهل الكلام أي المجتمع اللغوي الخاص بها والذي يكشف عما ينبغي أن يتجه إليه الكلام (الحكم) الصحيح.

المقام عند المُحْدَثين:

سموه (سياق الموقف) ومكوناته:

1. (شخصية المتكلِّم والسامع) أو(الكاتب والقاريء) وتكوينهما الثقافي .
2. العوامل والظواهر الاجتماعية (البيئة / اللون / الجنس / المزاج) تؤثر على المتكلم والسامع.
3. أثر النص في المشتركين (مستمعين / مخاطبين / ألم أوفرح أواقتناع / إغراء / تحذير).
4. مجال الحديث أو(مجال الكتابة) أدبية / علمية / تجارية.
5. الزمان والمكان: تختلف دلالة المفردات من زمن إلى زمن كاختلاف مدلول كلمة (صلاة) في الإسلام عنها في الجاهلية.
6. حركات الشخوص وسلوكها ــ الحركة تساعد على الدلالة.

إذا ً من أهم العوامل التي تساعد على الوصول إلى المعنى دراسة المقام [1]، مما يرتبط بالمقام ما راعاه البلاغيون من تقسيم أنواع الخبر مراعاة لحال السامعين (خالي الذهن، ومتردد، منكر) وكذلك خروج الخبر عن مقتضى الظاهر " لأغراض بلاغية " الالتفات / أسلوب الحكيم ... الخ.

[1]- محمد محمد ابوموسى اخصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني\ الناشر مكتبة وهبة \ ط7 ج1 \ص81.

قد يخرج الخبرعن مقتضى الظاهر بسبب الموقف فأسباب النزول في القرآن الكريم، مقام والسيرة النبوية مقام، والتاريخ مقام.[1]

مقامات المخاطبين لا تحصر وقد عُبِّر عن المقام (بمقتضى الحال) وقد عرَّف الخطيب القزويني علم المعاني حيث يقول:"هوعلم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي يطابق بها مقتضى الحال"[2]، وقد استخدم كلمة " يعرف " ولم يقل " يعلم " لأنهم ــ أي العلماء ــ خصوا " المعرفة" بالجزئيات " و" العلم " بالكليات، وهوأساس البلاغة كلها وهوالذي يجب مراعاته في الكلام حتى يصبح بليغاً يتعدى مرحلة الإفهام، لأن من المعاني ما هوأساس يتكون من النسبة ومتعلقاتها، كنسبة الفعل إلى الفاعل والمفعول، ونسبة الخبر إلى المبتدأ، ويقتصر على ذلك دون مراعاة لشيء آخر، ومن المعاني ما هومكمل للنسبة، وهذا لا يكتفي فيه بمجرد الاخبار، بل لا بد من مراعاة أحوال المخاطب فيؤتى بتوكيد مناسب يتفاوت بتفاوت الحال، إذاً المعنى الأساس يعبر عنه بالمفردات ولابد فيه من مراعاة مبدأ الوضوح، أما العنصر الثاني من المعاني فهوالأحوال والأوضاع المختلفة التي تعرض لهذا المعنى وتفتقر إلى التعبير كالذكر والحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير وما إلى ذلك مما تتبعه علم المعاني وبين دلالة كل منها في التعبير عن المعنى كاملاً .

اهتم البلاغيون بمراعاة حال المخاطب ومطابقة الكلام له واستقر ذلك في الأذهان، وكاد العلماء أن يقصروها على المخاطب فحسب. ولكن يمكن أن نقول أن مقتضى الحال يمكن أن يكون أيضاً مراعاة لحال المتكلِّم، فشعر المراثي يطابق حال قائليه أولاً ثم توافق أحوال المخاطبين بعد ذلك وربما لا توافق. وكذلك المتكلِّم المنفعل يعبربما يعتمل في

[1]-القزويني، محمد بن عبدالرحمن / الإيضاح في علوم البلاغة (تح) محمد محي الدين عبدالحميد , دار الجيل_بيروت ط3 ,ج2, ص80.

[2]- القزويني محمد بن عبدالرحمن \ الإيضاح في علوم البلاغة ص29.

صدره فينفعل المخاطب بما يقول المتكلم الذي كان يعبر عن حالته النفسية الخاصة قبل كل شيء فهذه المطابقة لحال المتكلِّم، وأن عبد القاهر الجرجاني قد التفت إلى ذلك حين رأى المتقدمين يربطون توكيد الجملة بحال المخاطب من تردد وإنكار فيدخل في التوكيد حال المتكلِّم ايضاً، وذلك إذا وقع شيء كان يظن أنه لا يقع كما في قول أم مريم ــ عليها السلام ــ:(فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)وقول نوح عليه السلام: (قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ)[1].

أما إذا روعي حال المخاطب والمتكلِّم في آن واحد، فلا شك أننا نكون قد ارتقينا أعلى القمم البلاغية التي لا تدانيها قمة، وقد تحدث سيبويه عن البلاغة التي يستشعرها المخاطب بل القائل نفسه إذا تأملها، وذلك في حديثه عن حذف الصفة وما فيه من بلاغه لا تتوافر مع وجودها.

يقول الزجاج: وحكى سيبويه " سِيرَ عَليه لَيلٌ " (وهم يريدون ليل طويل وكأن هذا انما حذفت فيه الصفة لما دل من إلحاح على موضعها، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك التطويح والتطريح والتضخيم والتعظيم ما يقوم مقامه قوله : " طويل " أونحوذلك، وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته كأن تقول في مقام المدح: كان والله رجلاً فتطيل الصوت، أي رجلاً فاضلاً شجاعاً أوكريماً أوتقول في مقام الذم سألناه وكان انساناً، وتزوي وجهك تقطبه فيعني في ذلك قولك إنساناً جباناً أوبخيلاً أوغير ذلك، فعلى هذا وما يجري مجراه تحذف الصفة) [2]، وهنا يعني أن مراعاة المقام بل وحال المخاطب والمتكلِّم ايضاً كليهما يتحكمان في الحذف، وايضاً ما يصاحب الألفاظ من نبر وتنغيم وإشارات،

---

[1]– سورة الشعراء : الآية (117) .

[2]– الزجاج، ابراهيم بن السرى بن سهل \ معاني القرآن وإعرابه ج3 \ ط1 \ عالم الكتب بيروت\ ص835 .

كلها تعين على فهم المراد وبناء على هذا نجد أن النحاة الأوائل لم يغفلوا عن المتكلِّم ولا عن مقتضى الحال، ولا عن الأحوال المصاحبة من النبر والتنغيم أوالإشارات، أوما سماه سيبويه التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم.

اما ابن قتيبه فيوصي الكُتّاب بمراعاة مقتضى الحال في الألفاظ والمعاني على حد سواء فيقول:"ويستحب له ــ ــأي الكاتب ــ أيضاً أن يتحرى ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وألا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام ولا رفيع الناس وضيع الكلام"، ويراجع نصيحة أبرويز لكاتبه حين قال له:"اجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول " يريد الايجاز[1].

ويقول أيضاً أن هذا ليس بمحمود في كل موضع، ولا بمختار في كل كتاب، بل لكل مقام مقال، ولوكان الايجاز محموداً في كل الأحوال لجرده الله تعالى في القرآن الكريم ولم يفعل الله ذلك، ولكنه أطال تارة للتوكيد وحذف تارة للإيجاز وكرر تارة للإفهام، وليس يجوز لمن قام مقاماً في تحضيض على حرب،أوحمالة بدم،أوصلح بين عشائر، أن يقلل الكلام ويختصرة، ولا لمن كتب إلى عامة كتاباً في فتح أواستصلاح أن يوجز، ولكن الصواب أن يطيل ويكرر ويعيد ويبدي ويحذر وينذر"[2]

أما المبرد فقد لاحظ أن في العبارة البلاغية فروقاً طفيفة تخفى على الخاصة، فضلاً عن العامة فوضح الفروق بينها وجعل لكل عبارة منها موضعاً لا يصح فيها الآخر،وذلك في إجابته على الفيلسوف الكندي حينما ركب إليه، وقال له إني لأجد في كلام العرب حشواً، فقال له أبوالعباس في أي موضع وجدت ذلك، قال:أجد العرب يقولون "عبدالله

[1]– ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن سلم الكوفي المروزي الدينوري، أدب الكاتب \ مؤسسة الرسالة ج1 ص 18.

[2]–ابن قتيبة ابي محمد عبدالله بن سلم الكوفي المروزوي الدينوري \ أدب الكاتب \ (تح) محمد الدالي \ مؤسسة الرسالة ج1 ص18.

قائم" ثم يقولون (إن عبدالله قائم)، ثم يقولون:(إن عبدالله لقائم) فالألفاظ متكررة والمعنى واحد فقال المبرد بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ فالجملة الأولى إخبار والثانية جواب عن سؤال سائل والثالثة جواب عن إنكار مُنكِر قيامه، إذاً فالمعاني متباينة لكل منها حالة تتوخى في التعبير ولا تقوم فيها الأخرى مقامها، وإجابة المبرد كانت سبباً في إضافة فصل جديد في علم المعاني وهوأضرب الخبر، الخبر الإبتدائي والطلبي والإنكاري فالأول لخالي الذهن والثاني للمتردد والثالث للمنكر.

أما ابن جني فقد اهتم بقضية اللفظ والمعنى والدلالة، وقد أفرد باباً لمن ادعى للعرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها للمعاني فيقول:"اعلم أن العرب كما تعني بألفاظها وتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ أحكامها، بالشعر تارة وبالخطب تارة أخرى وبالأشعار التي تلتزمها وتتكلف استمرارها فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قدراً في نفوسها، فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم وحسنوها فلا ترى العناية إذ ذلك إنما هي بالألفاظ بل هي عندهم خدمة للمعاني وتنويه بها[1]. وقد قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " إن من الشعر لحكماً وإن من البيان لسحراً" [2].

أشار العلماء المسلمون القدامى من البلاغيين واللغويين والأصوليين إلى أهمية المقام في معرفة دلالات الخطاب منهم: أبوعثمان عمروبن بحر الجاحظ (150هـ ـ 255هـ) فقد قدم ملاحظات حول الكلام والمقام في عدة مؤلفات مثل رسائل الجاحظ والحيوان والبخلاء والبيان والتبيين، وفي الأخير أوجب إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم"[3].

---

[1]– ابن جني أبوالفتح عثمان \ الخصائص \ (تح) عبدالحميد هنداوي \ ط4 \دار الكتب العلمية 1434هـ \ج 1 \ ص 238.

[2]– البخاري \ الجامع الصحيح \ كتاب النكاح\ باب الخطبة حديث رقم 514 ج7 ص 19 , الترمذي كتاب الأدب، باب ما جاء ان من الشعر حكمة ج5 ص 137.

[3]– ابوعثمان عمروبن بحر الجاحظ (ت) 255هـ \ كتاب البيان والتبين \ دار الكتب العلمية \ج1.

أما عبد القاهر الجرجاني فيعتبر من الرواد الذين أشاروا إلى تحديد خطورة المقام في بيان الدلالة المطلوبة في كتابه دلائل الإعجاز، حين ربط كل كلام بمقام استعماله ومراعاة مقتضى حاله وعنده أنه لايمكن أن تضع قاعدة واحدة تستوعب كل الحالات، وإنما لكل موقف ومقتضى حال تركيب يتلاءم معه وللمعنى عند الجرجاني أبعاد ثلاثة:

1ــ معاني اللفظة المفردة أو(المعنى المعجمي).

2ــ طرق التعليق بين الكلم، وربطها، وهي المعاني النحوية التي تقرر عبر أحكام تنظيم الجملة.

3ــ الإبانة عما في النفس أوالبيان أوتمام الدلالة، وهوما يسمى (المعنى الدلالي) والمعنى الاجتماعي الذي هوشرط لاكتمال المعنى الدلالي وفهمه [1].

أما ابن جني في كتابه " الخصائص " فقد قرر أن اللغوي لا ينبغي أن يكتفي بالسماع بل عليه أن تجمع إليه، الحضور والمشاهدة،ويحيط بظروف الكلام بمعنى أن يأخذ في اعتباره المقام المحيط بالكلام[2].

أما القزويني فقد قرر أن مقامات الكلام متفاوته يقول : " ومقتضى الحال مختلف فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة،وخطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذلك لكل كلمة مع صاحبتها مقام إلى غير ذلك ...هذا ــ أعني تطبيق

[1]– الجرجاني عبد القاهر / دلائل الإعجاز\ (تح) محمد رشيد رضا \ دار الكتب العلمية ط 1 \ ص69.

[2]- انظر ابن جني أبوالفتح عثمان ــا الخصائص \ (تح) عبدالحميد هنداوي \ ط4 \دار الكتب العلمية 1434هــ \ج 1.

الكلام على مقتضى الحال ــ هوالذي يسميه الشيخ عبدالقاهر بالنظم حيث يقول : " النظم توخي معاني النحوفيما بين الكلم، على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام "[1].

أما ابن قتيبه فقد أكد على العلاقة بين المقام والأسلوب في كتابه " تأويل مشكل القرآن " رابطاً تعدد الأساليب والأفتنان فيها، بطرق العرب في أداء المعنى، بحيث يكون لكل مقام مقال فتعدد الأساليب راجع إلى اختلاف الموقف أولاً ثم طبيعة الموضوع ثانياً وإلى مقدرة المتكلِّم وفنيته ثالثاً[2] .

أمّا الأصوليون فإنهم أيضاً التفتوا إلى امتدادات المقامات منهم الإمام الشاطبي إذ يشير إلى أهمية معرفة حال الخطاب حيث عبر عنه بـــ " المخبر عنه والمخبر به ولا يمكن فهم سياق النص بدونها وبها تثبيت حال الخطاب"، ومما يعد في حال الخطاب الواقع الذي عليه الخطاب في الخارج وهذا ما عبر عنه الإمام الشاطبي بـــ المخبر عنه والمخبر به ونفس الإخبار حيث يقول: "وإن كل خبر يقتضي أموراً خادمة لذك الإخبار بحسب المخبر والمخبر عنه والمخبر به ونفس الإخبار في الحال والسياق ونوع الأسلوب من الإيضاح والإخفاء والإيجاز والإطناب وغير ذلك. فهناك صلة بين كل من الخطاب والمخاطب والمخبر عنه والمخبر به ولا يمكن فهم سياق النص بدونها وبها تتبين حال الخطاب"[3].

وقوله" أمور خادمة " إشارة إلى اعتبار جميع ما يحيط بالمقام من الثقافة والعرف والقيم الإجتماعية في تفسير النص .

---

[1]– القزويني محمد بن عبدالرحمن بن عمر جلال الدين\ الإيضاح في علوم البلاغة\ (تح) محمد عبد المنعم خفاجي \ دار الجيل بيروت ط3 ص42.

[2]. ابن قتيبة ابي محمد عبدالله بن سلم الكوفي المروزوي الدينوري \ تأويل مشكل القرآن \ (تح) ابراهيم شمس الدين \ دار الكتب العلمية بيروت.

[3]- محمد سالم أبوالعاصي, علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات, دار البصائر القاهرة , ط1 , ج1 , ص51.

وذكر تمام حسَّان أن الأصوليين حتموا على من يتصدى لاستخراج الأحكام من القرآن أموراً لا ينبغي أن يغفل عنها هي في الواقع مقام للفهم فعليه مثلاً :

1. ألا يغفل عن بعضه في تفسير بعضه .
2. ألا يغفل عن السنة في تفسيرة .
3. أن يعرف أسباب النزول .
4. أن يعرف النظم الاجتماعية عند العرب [1].

فرؤية حسَّان إلى أن هذه العناصر الأربعة يمكن إختصارها في كلمة (مقام) فلا ينبغي لمن يتصدى لتفسير آية أن يغفل عن مقامها.

أما في العصر الحديث يعد (مالينوفسكي) أول من اقترح مصطلح (سياق الحال) context of sitnation ويعني به البيئة التي تحيط بالنص وأبان أن تفسير النص أوالكلام لا يتوقف عند معرفة البيئة المباشرة Imimeaide environment أي بالمعلومات التي ترتبط بزمن إنتاج النص أوحدوث الكلام فحسب إنما يتجاوز ليشمل جميع ما يرتبط بالنص والكلام من خلفيات الثقافة والتاريخ[2].

ومن المباحث المهمة عند ابن خلدون،علاقة الدلالة بالمقام – وإن لم يسمها– وذلك في معرض كلامه عن تفوق قبيلة مضر بالبيان والفصاحة فقد التفت إلى تأثير العناصر غير اللغوية في الدلالة يقول :"الألفاظ بأعيانها دالة على صفات بأعيانها وتبقى ما تقتضيه الأحوال ويسمى "بساط الحال" محتاجاً إلى ما يدل عليه، وكل معنى لابد أن تكتنفه أحوال تخصه، فيجب أن تعتبر تلك الأحوال في تأدية المقصود لأنها صفاته"، كما أوضح أن هناك فرقاً بين اللسان العربي وألسنة الأمم الأخرى عند ورود أحوال القول ومقاماته إلى

---

[1]– تمام حسان / اللغة العربية معناها ومبناها \ ط \6 \ عالم الكتب , ص/ 348.

[2]– العزاوي عقيد خالد, (الكبيسي محمد شاكر م. مشارك)/ وظائف السياق في التفسير القرآني\ ط1 1436ه \ ص 26.

كيفيات في تراكيب الألفاظ فقال: " وتلك الأحوال في جميع الألسن أكثر ما يدل عليها بألفاظ تخصها بالوضع، أما في اللسان العربي فإنما يدل عليها بأحوال وكيفيات في تراكيب الألفاظ وتأليفها، من تقديم وتأخير أوحذف أوحركة إعراب وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة، ولذلك تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات "[1]

هذه النظرة تدل على أهمية المؤثرات المحيطة بالدلالة، وليس في ذاتها، إذاً المقام ليس جملة من العناصر غير اللغوية المصاحبة لإنتاج النص فحسب، بل هوأشمل من ذلك بانفتاحه على انتظام العلاقات اللغوية في السياق اللغوي،والمفيد في رؤية ابن خلدون هذه أنه لم يعلق مقامات القول على الألفاظ والتراكيب وإنما علقها على كيفيات في تراكيب الألفاظ، وأراد بذلك الأحكام المكتنفة بالإسناد والمخاطبين وحال التخاطب. بشروط وأحكام هي قوانين لعلم المعاني، فهناك دلالة زائدة على دلالة الألفاظ مفردة ومركبة تمثلها هيئات وأحوال الوقائع وقد حولت للدلالة عليها بأحوال وهيئات في الألفاظ بحسب ما يقتضي المقام، إن التوجه إلى السياق يهدف إلى تحديد الدلالة من خلال البحث في تشابك العلاقات بين وحدات اللغة، وهوتشابك متعرض للتغيير والتحوير في البنى المعجمية والتركيبية الخاصة به ولهذا فإن تحديد دلالة الكلمة ً يحتاج إلى تحديد مجموعة السياقات الواردة فيها، (إذ لا معنى لكلمة خارج السياق) كما يرى مارتيني .[2]

ووفقاً لنظرية السياق أمكن الحديث عن مفهوم المعنى المركزي للمنطوق (النواة) وهوأصل دلالات المنطوق وما يصاحبه من المعاني الهامشية (الثانوية) التي يكتسبها من

---

[1]– ابن خلدون عبد الرحمن \ مقدمة بن خلدون \ (تح) خليل شحاتة \دار الفكر للطباعة \ ط1 2010م \ ص 677.

[2]– سالم شاكر / مدخل إلى علم الدلالة \ المطبوعات الجامعية \ ص (31–38) .

خلال تحركه في تلك الأنساق الكلامية المتنوعة ويتضح هنا المفهوم عند دراسة المشترك اللفظي وتبعاً لذلك يوجد أربعة أنواع من السياق هي :

1. السياق اللغوي.
2. السياق العاطفي (الإنفعالي).
3. سياق الموقف (المقام).
4. السياق الاجتماعي (الثقافي).

إن النظرية السياقية من أهم النظريات التي تصدت لدراسة المعنى وهي الأكثر تعلقاً بالنظام اللغوي، فدراسة السياق اللغوي قد تكشف من دلالات مختلفة لاختلاف القيم الإجتماعية والثقافية المحيطة بالنص الأدبي وقد تسهم في الإجابة عن تساؤل مهم طرحه النقاد المعاصرون، وهوما الذي يجعل الخطاب الأدبي الفني مزدوج الوظيفة والغاية ؟ يؤدي ما يؤديه الكلام عادة، وهوإبلاغ الرسالة الدلالية، ويسلط مع ذلك على المتلقي تأثيراً ضاغطاً، به ينفعل للرسالة المبلغة إنفعالاً ما، تجلية الفرق بين المقام والسياق في النظر العربي القديم من خلال الوقوف على موارد الاستعمال ومواطن الاعمال .فالناظر في هذه الموارد إذا أمعن النظر يجد فرقاً ظاهراً وهوأن السياق أعمّ من المقام وأن المقام أخصّ منه وهذه العلاقة كانت حاضرة في الوعي اللغوي والدلالي القديم، ودليل ذلك أن لفظة المقام درجت على ألسنة أهل البلاغة لما كانوا بسبيله من معالجة مطابقة الكلام للمقام، والمقام عندهم هوالحال الداعية للكلام يناسب أن يكون اللفظ المستعمل هوالمقام لا السياق لخصوص المسألة المبحوثة.

ولفظة السياق درجت على ألسنة الأصوليين لاهتمامهم بالنظر الدلالي واهتمامهم بطرق الدلالة فاستعملوا لفظ السياق الشامل للمقام والمقال والمخاطب والمتكلم وبهذا يكون كل من المصطلحين قد أخذ مكانه المناسب لمفهومه في التراث.

وردت لفظة المقال بدل السياق عند البلاغيين العرب ومن ذلك قول العسكري في الصناعتين : "واعلم أن المنفعة مع مراعاة الحال وما يجب لكل مقام من مقال فإذا كنت متكلماً أواحتجت لخطبة لبعض ما تصلح له الخطب أوقصيدة لبعض ما يراد له القصيد فتخطى ألفاظ المتكلمين مثل الجسم والعرض والكون).[1]

[1]– أبوهلال العسكري الحسن بن عبدالله بن سهل (ت) 395هـ \ (تح) مفيد قميحة / كتاب الصناعتين \ ط1 \ دار الكتب العلمية (بيروت) 2008م \ اص 135.

المبحث الثاني

السياق

السِّياق: لغة: المساوقة أي: المتابعة، كأن بعضها يسوق بعضاً، السِّيق: السحاب طردته الريح، يقول (الأصمعي) في وصف مشية الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ" كان يسوق أصحابه" وفي القرآن الكريم:(إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ)[1]، وقوله تعالى : (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ)[2].

اصطلاحاً: يقال سياق الكلام، وسياق الجملة وسياق النَّص، وهومن مجالات اهتمام الدراسات الحديثة، والسياق في الدراسات الحديثة يعني:"دراسة الوحدة اللغوية في الواقع العملي"، بمعنى إعطاء اللفظ بعداً دلالياً من النَّص، وإذا أردنا تحليل نص فنحن محكومين بـــظروف اللغة المكونة للنَّص والبيئة التي وجد فيها وطبيعة المنشىء والمتلقي. إذاً مفهوم السياق يحدده بُعدان هما:

1. بعد داخلي يتعلق باللغة وتراكيبها (أي:موقع الكلمة بين أخواتها، والهيئة التي ائتلفت فيها الكلمات مع بعضها، يعني تنسيق المفردة في الجملة، وتنسيق الجملة مع الجمل الأخرى وتنسيقها كلها مع الإطار الكلي للنّص (السياق اللغوي)، فهويُعنى بالتناسق اللفظي في العبارة ولا يخرج عن إطار البنية اللغوية ودوره هوتحديد معاني الكلمات وإزالة اللبس وإبعاد المعاني الأخرى وإضفاء صفة الجمال والشاعرية عليها.
2. البعد الخارجي: وهوالظروف والخلفيات والحيثيات المحيطة بالنص سواء ما كان متصلاً بالمخاطِب أوالمخاطَب إضافة إلى البيئة الزمانية أوالمكانية والأسس الحياتية

---

[1]– سورة القيامة الآية (30) .

2– سورة ق الآية (21) .

الفكرية القائمة وراء النَّص فهوبهذا شامل لجميع الملابسات والأحوال والظروف في إطار الزمان والمكان، وهذا ما يسميه البلاغيون (القرينة الحالية) أو(المقام) أو(الملابسة) إذاً لا يمكن حصر السياق في مصطلح محدد.

إذاً فالسياق نوعان :

1- لغوي .

2- غير لغوي .

اللغوي يشمل: المرسِل والمرسل إليه والرسالة.

1- سياق المرسِل: يشمل الظروف المحيطة به أثناء الإنشاء.

2- سياق الرسالة: الهيئة التي تشكلت بها الرسالة (السياق الداخلي) أوالقالب أوالإطار الذي صيغت فيه (سياق الجنس الأدبي).

3- سياق المتلقي: يكمن في المواقف الذاتية/الاستعدادات النفسية/ الرؤية الخاصة التي ينطلق منها في الفهم أثناء القراءة .

إذاً السياق اللغوي منضبط، أما السياق الخارجي فلا ينضبط بمعيار، وعليه فإن السياق يمثل المرجع الذي يحال عليه القاريء ليتمكن من إدراك القول.

واللغة مكتوبة ومنطوقة ليست تعبيراً مباشراً عن الشعور وإنما هي وسيلة لنقل الأفكار والتأثير في المتلقي وهي لا تنقل الأفكار والمشاعر نقلاً حرفياً ولكنها تحاول ذلك، ولذا تتفاوت النصوص قوة وضعفاً بحسب قدرات وثقافة وأفكار الكاتب ولذا ينطبع النَّص بطابع صاحبه وطريقته من حيث الصياغة ومن حيث التأليف ولذا فلكل نَّص خصوصية، ولكل

شاعر أسلوبه المتميز من حيث التفاوت في درجات الجودة قال (ابن قتيبه) : " إن اللغة لايمكن فصلها عن المتكلِّم....."[1] .

وصاحب النَّص قد يستخدم الكلمات استخداماً جديداً يكسبها معنىً خاصاً وهذا يمثله قول شكري عيَّاد (الكلمات في كل نص تبتعد عن علاقتها العادية وتبحث عن علاقات جديدة) وهذا ما يضفي على الأدب صفة الإبداع، ولغة الأدب محملة بالعواطف ووظيفتا التأثير في المتلقي والإبلاغ .

وعند تحليل النَّص للوصول لمعناه لابد من:

1. الوقوف على البناء اللغوي، وليس الوقوف عند المعنى المعجمي للكلمات المفردة فقط.
2. دارس النَّص لا بد أن يكون على مستوى عالٍ من الثقافة الإدارك، وأن يدرك المعاني المندسة في ثنايا النَّص والسِّياق هوالذي يحدد المعنى فمثلاً في قول الشاعر:

أنا ابن أُباه الضّيمِ من آلِ مَالِكِ ** وإن مَالِكاً كَانت كَرامُ المعَادِنِ**[2]

فسياق الفخر هوالذي دلَّ على أنَّ (إن) في البيت مخففة من الثقيلة.

إذا كان النَّص مبهماً غامضاً تأبىّ على الفهم وضعف تأثيره في النفس لأنه لا يستطيع أن يُتوصل للسياق الذي يؤدي إلى الفهم والذي بدوره يؤدي إلى الإمتزاج والتلاحم مع النَّص ومثال ذلك قول بشار بن برد:

خَاطَ لي عمروقُباءً ليتَ عَينَيه سَواء * فاسألِ الناسَ جميعاً أمديحٌ أم هِجَاء**[3]

فاختلاف السياقات هوالذي جعل للدال الواحد أكثر من (مدلول) و(للمدلول) أكثر من (دال) إذاً الاستعمال هوالذي يحدد الدلالة،وعلى هذا لا يمكن القول إن هناك كلمة شعرية

---

[1]- اين قتيبة ابي محمد عبدالله الكوفي / ادب الكاتب والشاعر \ (تح) محمد محي الدبن عبد الحميد \ مطبعة السعادة بمصر ط3 1958م ص11.

[2]-ابن عقيل عبدالله بن عبدالرحمن, شرح بن عقيل على ألفية ابن مالك, دار التراث العربي , ط20,ج1,ص379.

[3]–اليوسي أبوعلي الحسن بن مسعود بن محمد \ زهر الأكم في الأمثال والحكم\ج1 \ ص237.

وأخرى غير ذلك لأن الكلمة المفردة علامة اصطلاحية، وأن اللغة في شكل سياق قوة فاعلة تعطي للأجزاء دلالات خاصة ومعنى هذا أن هناك حركة خلق مستمرة في اللغة، والعمل الأدبي لا يحدد مدلوله بمجموع الكلمات المفردة أومجموع الجُمل، لأن كل كلمة يتغير مدلولها بتغير السياق وليس معنى ذلك أن الكلمة تجرَّد تجريداً مطلقاً من دلالتها.

وأحياناً يقلب السياق الكلمة إلى الضد في معناها المعهود ويسمى عند البلاغيين المعنى البلاغي مثل قوله تعالى: (انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ) [1] فكلمة ظل جاءت لتدل على الإهانه والتهكم بالمكذبين لا ما كانت تدل عليه سابقاً (الراحة) إذاً الكلمة(كالحرباء) تتلون بلون المكان الذي تحل فيه أي الكلمة في السياق تولد من جديد فالسياق يضفي على الكلمة دلالات جديدة أويزيل بعض الدلالات الأخرى العالقة والإبقاء على دلالة واحدة يتم ترجيحها من خلال السياق وَعُبِّر عنه بحركية المفهوم وثبات المنطوق، لذا فتعدد التفسيرات يختلف تبعاً لتعدد القراءات، إذ أن المعنى الأساس للكلمات ثابت محدد بصفة عامة، لكن الجوانب الخارجية غامضة وغير ثابتة وفي حاجة لمزيد من التوضيح المستمر في السياق.

يعد السِّياق **Context** على مستوى اللغة الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها في فهم المعنى، وهومجموعة الــتراكيب والتعبيرات اللغوية ويمثل اللفظ فيها أحد أجزائها، وتكوِّن معاً وحدة دلالية متجانسة، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه، والكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن[2].

---

[1]– سورة المرسلات, الآية (30) .

[2]- محاضرات ستنا محمد علي , في برنامج الدكتوراة بالمقررات , دفعة(1).

السياق اللغوي:

هوالنظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم، بأوسع معاني هذه العبارة، [1] . فهوعلى هذا يتمثل في الأصوات والكلمات والجمل كما تتابع في حدث كلامي معين أونص لغوي فاللفظ بهذا المفهوم ذوعلاقة وثيقة بما سبقه وما يليه من ألفاظ، إذ تسهم إسهاماً كبيراً في تحديد معناه المراد وقد أوضح أبوبكر الأنباري في العلاقة بين اللفظ وبيئته اللغوية وهويتحدث عن الأضداد: " كلام العرب يفصح بعضه عن بعض ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة لمعنيين ولا يراد بها حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد...[2] .

سياق الحال أوالسياق الاجتماعي : Context of Situation

وهو"جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أوللحال الكلامية "[3]. ويتمثل في الظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية للمتكلم والمشتركين في الكلام أيضاً وتفصيل هذه العناصر كالآتي :

أ . شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي، وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع، وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي ودورهم،أيقتصر على (الشهود) أم يشاركون من آن لآخر بالكلام، والنصوص الكلامية التي تصدر منهم .

ب . العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحالة الجوــ إن كان لها دخل ــ وكالوضع السياسي وكمكان الكلام .

---

[1]– د. حلمي خليل / الكلمة دراسة لغوية معجمية \ دار المعرفة 1998م ط1 \ ص 61.

[2]– الانباري \ تح : محمد ابوالفضل ابراهيم / الأضداد \ المكتبة العصرية بيروت ط1 \ ص 2.

[3]– محمود السعران \ علم اللغة مقدمة للقاريء العربي\ دار الفكر العربي ط2 1997م \ ص311.

وكل ما يطرأ أثناء الكلام ممن شهد الموقف الكلامي من انفعال أوأي ضرب من ضروب الاستجابة وكل ما يتعلق بالموقف الكلامي أيًّا كانت درجة علاقته.

ج. أثر النص الكلامي في المشتركين، كالإقناع أوالألم أوالإغراء أوالضحك .

مصطلح سياق الحال أوالسياق الاجتماعي:Context Of Situnation

استعمله لأول مره في انجلترا (مالينوفسكي) الذي عدَّ (سياق الحال) جزءاً من العملية الاجتماعية التي يتمركز فيها المحدث للخطاب ويستطيع التأثير فيها تأثيراً جوهرياً.

ويرى أن اللغة ليست وسيلة من وسائل توصيل الأفكار والانفعالات أوالتعبير عنها أونقلها فهذا عنده لا يعدوأن يكون وظيفة واحدة من وظائف اللغة ورأى أن اللغة كما يمارسها المتكلمون في أي جماعة من الجماعات إنما هي نوع من السلوك، ونوع من العمل إنما يؤدي وظائف كثيرة غير التوصيل [1].

وهكذا فإن نظرية اللغة التي تقوم على التصوير الخاص بسياق الحال تشمل جميع أنواع الوظائف الكلامية وليس على إبراز نوع ــ أوأكثر من الوظائف الكلامية ــ إن المعنى عنده كلَّ مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية وأهم هذه العناصر هي الوظيفة الصوتية ثم المورفولوجية والنحوية والمعجمية والوظيفة الدلالية لسياق الحال، والتحليلات اللغوية على هذه المستويات المختلفة ليست المعنى،فالمعنى لا بد من الوصول إليه من الربط بين النتائج التي توصل إليها هذه التحليلات جميعاً ربطاً يدخل في حسبانه سائر عناصر سياق الحال.

[1]– محمود السعران \ علم اللغة مقدمة للقاريء العربي ص311

وبناءً على ذلك فإن إجلاء المعنى على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية لا يعطينا إلا معنى المقال أوالمعنى الحرفي، وهومعنى فارغ من محتواه الاجتماعي والثقافي في منعزل عن القرائن ذات الفائدة الكبرى في تحديد المعنى المراد.

اقترح "ديل هايب" ستة عشر عنصراً للمقام وجمعها في اللفظة الأوائلية (**speaking**) وهي:ــ

1. الإطار أوالمشهد (**setting and scene**) الإطار يشير إلى الزمان والمكان وجميع ما يتعلق بالأوضاع المادية التي حدث فيها الكلام، أما المشهد فيشير إلى الإطار النفسي المجرد أوالتعريف الثقافي للموقف.
2. المشاركون (**participaters**): ويشمل مجموعات متنوعة من المشاركين، المتحدث ــوالمستمع والملقي والمتلقي والمرسل ــوالمستلم.
3. الغاية (**end**): تشير إلى وظيفة الكلام والنتائج المتوقعة منه، والهدف الشخصي الذي يرمي إليه المشاركون في الحدث الكلامي.
4. تسلسل العمل (**act of consequence**): يشير إلى حقيقة الأسلوب والمضمون المستخدمين في الكلام وتشمل المفردات والتراكيب الحقيقية المستخدمة وكيف تستخدم ولأي وظيفة تستخدم وما علاقتها بموضوع الكلام.
5. المفتاح (**key**): ويشير إلى النبرة أوالروح أوالسلوك الذي وقع فيه الحدث الكلامي مثلاً الفرح والحسد والغرور والغضب.
6. الوسائل (**instrument**): تشير إلي قنوات الإتصال سواءً كانت لغة مكتوبة أومنطوقة كما تشير إلى شكل الكلام كاللغة الفصحى أواللهجة أوالشفرة.

7. نماذج التعامل أوالتأويل: وتشير إلى السلوك والقيم الخاصة بموقف معين أوبمجتمع معين وكيف ينظر إليها من لم يشارك فيها.

8. جنس الخطاب: يشير إلى نوع أوجنس الكلام مثل الشعر والمثل والخطب، والدعاء، والحوار.

المناسبة وعلاقتها بسياق الحال:

للغرض الذي يساق الكلام من أجله دور بارز في اختيار الألفاظ المناسبة له "وأحسن مواقع التخييل، أن يناط بالمعاني المناسبة للغرض الذي فيه القول كتخييل الأمور السارة في التهاني، والأمور المفجعة في التعازي فإن مناسبة المعنى للحال التي فيها القوة والشدة يعاون التخييل على ما يراد من تأثر النفس لمقتضاه"[1].

المناسبة بين معنى اللفظ المعجمي وسياق الحال:

لكل لفظ من الألفاظ معناه المعجمي الذي يميزه عن غيره، وقد يتعدد المعنى للفظ الواحد فلا يتحدد المراد منه عندئذٍ إلا بوضعه في سياق ما، وقد يدل لفظان أوأكثر على معنى متقارب ولكن يظل الفرق الدلالي بينهما موجوداً ولوكان ضئيلاً فيختار أحدهما على الآخر لتحقيقه المعنى الذي يتطلبه السياق مما لا يحققه غيره مثل:

1. المغايرة الدلالية.
2. الاقتران بين لفظين دلالياً.
3. الاتباع بلفظ ذي دلالة زائدة.

وهكذا يكون اختيار الألفاظ وفق ما يقتضيه السياق.

[1]- أبوالحسن حازم بن محمد بن حسين / منهاج البلغاء، دار الكتب الشرقية 1966م ط1 ص 90

مراعاة صفة اللفظ :

كما يراعى أن النظم يراعي المعنى المعجمي للفظ ومطابقته للمقام، فإنه يراعي صفته، فيختار لكل موقف كلامي أومقام ما يناسبه من الألفاظ،فإذا كان المعنى قوياً جاءت الألفاظ قوية جزلة، وإذا كان المعنى رقيقاً كان اللفظ رقيقاً فيطابقه في كل أحواله.

وصفات الألفاظ هذه أما تعرض لها من البيئة اللغوية التي تستعمل فيها، أوصيغتها، أواستعارتها من معنى آخر أومن السياق الذي ترد فيه أويكتسبها من الخصائص الصوتية المكونة لها وهي تنقسم إلى نوعين:

صفات عارضة وصفات صوتية، ومن الصفات العارضة المبالغة الاستعارة (لتخصص دلالة معينة) يراد بها المبالغة وقد تفهم المبالغة من صيغة اللفظ أومدلول اللفظ أوتفخيمه وقد يوحى اللفظ بالتحقير.

الصفات الصوتية تمد اللفظ بشحنة دلالية وفق ما يتميز به كل صوت فينظر إلى أصوات كل كلمة فيها وناحية أخرى ينظر إلى الكلمات متتالية متعاقبة وهوما يعبر عنه بالانسجام أوموسيقى اللفظ (**Rhyme**) بمعنى النظر إلى تموجات الأصوات وإلى مقدارها في عدة جمل والاختلاف في المقدار قد يكون راجعاً إلى قوة الصوت وضعفه أوفي طوله وقصره أوفي ارتفاعه وانخفاضه وليحقق ايحاءً دلالياً معيناً وقد يأتي الايحاء الدلالي من[1]:

1. استعمال لفظ يتكرر فيه صوت معين.
2. أويشتمل على صوت ذي خصائص معينة.
3. أواستعمال لفظ يكثر فيه عدد السواكن.
4. أومجموعة ألفاظ تشتمل على أصوات متماثلة متكررة.

[1]- انظر محمود السعران, علم اللغة مقدمة القارئ العربي , دار الفكر العربي, ط2 ,2010م

المناسبة بين بنية اللفظ وسياق الحال:

تمثل البنية في الأسماء شكلها أوهيئتها التي تأتي عليها سواء أكانت بعلامة مميزة أوصيغة محددة كالنكرة والمعرفة، والمؤنث والمذكر، والمفرد والمثنى، والجمع وكالأسماء المشتقة أوكانت بصيغة محددة لا اشتقاق لها، كالضمائر والأسماء الموصولة أوأسماء الإشارة والظروف، وجميع هذه الألفاظ لها دلالتها المعجمية والاجتماعية وتشترك جميعاً في أن لها دلالة معروفة، ما عدا التي جاءت بصيغة غير محددة لا اشتقاق لها، كالضمائر وأسماء الموصول، وأسماء الإشارة والظروف، فقد تستخدم الكلمة نكرة لا لتدل على الشيوع والعموم فقط ولكن قد تخرج إلى معان أخرى مثل التحقير أوالتعجب أوالمواساة.

ومعروف أن الاسم المشتق يدل على الثبوت والدوام وعدم تقيده بزمن محدد وعدم تجدده أما الفعل فيقتضي تجدد المعنى[1].

المناسبة بين حروف المعاني وسياق الحال:

مهمة حروف المعاني الربط بين أجزاء الكلام ووظيفتها الأساسية التعليق ولا يكون إلا في سياق، والسياق يتطلب استعمال أحد هذه الحروف لارتباطه الوثيق بالمعنى.

مثل دلالة (إلى) على انتهاء الغاية و(على) على الاستعلاء و(في) للظرفية و(من) التبعيض.

وكذلك حروف التوكيد وحروف النفي (ما) أو(انْ) الذي يدل في أحد معانيه على النفي إذا اقترن باستثناء (أسلوب القصر) (بما) و(إلا) وقد يستعمل في الأمر الذي ينكره المخاطب و(إنما) لتعريف المبتدأ والخبر، فأسلوب القصر مربوط بالمخاطب والضمير المفيد للحصر المتوسط للخبر مثل قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[2]

---

[1]- الجرجاني أبوبكر عبدالقاهر, دلائل الإعجاز, دار الكتب العلمية_بيروت, ط 1 , 1904هـ_1988م ,ص117.

2- سورة البقرة الآية (12)

ومن أدوات الحصر تصدير الكلام بحرف التنبيه الدال على مضمون الكلام بما له خطر يوجب العناية بإثباته ومنها تهيئته ومنها ما يدل على التقريع والتوبيخ مثل قوله تعالى: (وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ)[1]. ومنها (اللام) و(إن) أوالاكتفاء بأحدهما دون الآخر إذا يقتضِ المقام جمعها،لأن هذا الربط يدل على أهمية الصلة بين الأسلوب والمتلقي، إذ أن البلاغة عامة تتصل بالعوامل السياقية.

حروف النفي:

مثلاً:

(لا) تنفي ما بَعُد و(لن) تنفي ما قَرُب.

حروف الشرطـــ:

1/ (إن) تدل على عدم الجزم بوقوع الشئ.

2/ (إذا) تستخدم للجزم بوقوع الشئ وهي بدخولها تدل على كثير الوقوع و(إنْ) على النادر.

المناسبة بين موقع اللفظ الوظيفي وسياق الحال:

1.ابتداء الجملة بالاسم (المبتدأ) آكد في الإخبار عن مجيئها اسمية وكما أن فيها إيحاء بالاهتمام بالمبتدأ المتصدر للكلام بخلاف التي تبدأ بالفعل الذي يوحي بالاهتمام بالحدث ــ لأن تكرار الاسم في الجملة الاسمية ــ بكونه مضمراًوتصديره بالمبتدأ يشعر بالاهتمام بالمحكوم عليه كما أن التقديم للفعل مشعر بالاهتمام بالمحكوم به.

2.الفاعل ونائبه: قد يكون مناط الكلام الاهتمام بالفعل دون الفاعل، فيكون استخدام الجملة الفعلية أوفق وأوضح في المقصود.

1- سورة البقرة الآية (12)

3.الخبر: يكتسب الخبر بوصفه جزءاً من الجملة الاسمية الدلالة على الثبوت ومن ثم يصير أبلغ وأأكد في دلالته من الألفاظ التي تقع في مواقع وظيفية أخرى.

4.المفعول المطلق: هوالمصدر قال ابن يعيش "المصدر هوالمفعول الحقيقي لأن الفاعل يحدثه ويخرجه من العدم إلى الوجود..." .[1]

5.المفعول به: يعمد المتكلم إلى استعمال بعض الألفاظ في هذا الموقع الوظيفي دون غيره مع إمكان ذلك وذلك مراعاةً للمقام بإظهار الاهتمام به للدلالة على معنى مقصود.

6.المنادى: هوالمخاطب الذي يتوجه إليه بالنداء وتوظيف المنادى بما يتفق والمقام الذي ورد فيه لإبراز قيم دلالية من شأنها توضيح غرض الكلام وما يهدف اليه المقام.

7.الحال: اسم نكره منصوب مفسر لما أبهم من الهيئات كما تأتي مؤكدة إذا لم تدل على معنى جديد ومن شروطها أن تكون منتقلة غير ثابتة.

8.التمييز: كل اسم نكرة يضيف معنى من بيان ما قبله من إبهام في اسم مجمل أوإجمال في نسبة العامل إلى فاعله أومفعول والتمييز لا يخلوأن ينتصب بعدتمام الكلام لا يخلومن أن يكون منقولاً أوغير منقول فـــإن كان منقولاً لم يجز دخول (من) عليه لأنه منقول من فاعل أومفعول به ويدل عندئذٍ على المبالغة[2] والمنقول يستخدم لتحقيق دلالة معينة يستدعيها المقام.

9.المضاف اليه:الإضافة قد تكون محضة تكسب المضاف تعريفاً أوتخصيصاً أوقد تكون غير محضة وهي التي لا تكسب المضاف إليه تعريفاً أوتخصيصاً، وتبعاً للمقام قد تستخدم الإضافة فتكون المضاف إليه تقييداً للفظ يتفق في معناه المراد وغرض الكلام.

---

[1]- أنظر ابن بعيش موفق الدين بن علي بن بعيش النحوي ت: سنة 643هـــ شرح المفصل

[2]– ابن الناظم / شرح ألفية ابن مالك ص 351.

2–السري _ الأسلوب والإسلوبية _ ص 100.

10. الصفة : قد يأتي لفظ الصفة استجابة لمتطلبات المقام من دلالات لا تتحقق إلا بهذا الموقع.

11. البدل: يأتي ليساعد المبدل منه موضحاً ما فيه من إبهام ومؤكداً إياه توكيداً قد يكون بلفظ "كل" ويأتي مشعراً بالتعجب، وقد يكون التوكيد بالضمير المنفصل.

إن القيمة الدلالية للموقع الوظيفي ترقى بالنظم ودلالته المعجمية فتأتي مصورة ما يهدف إليه المقام من دلالات لا تصرح بها الألفاظ بل تستشف منها ومما يحيط من ظروف وقرائن حالية كاشفة عن المعنى الحقيقي له في المطابقة بين اللفظ في موقعه الوظيفي وسياق الحال.

المناسبة بين عدول اللفظ عن الأصل التركيبي وسياق الحال:

بمعنى ان يترك الأصل التركيبي المتعارف عليه في نظام اللغة المعينة.

العدول لغة : يقال عدل عنه يعدل عدلاً وعدولاً، ... ومال وعدل اليه، رجع وعدل عن الطريق عدولاً مال عنه وانصرف، وعدِل الشيء بالكسر مثله من جنسه أومقداره، وعَدل الشيء بالفتح، ما يقوم مقامه من جنسه.[1]

العدول: اصطلاحاً: في العدول معنى الخروج أوالتحول عن المألوف، ونقل الكلام من أسلوب الى أخر وهذا الانتقال له أثره الفني والجمالي في النص. فالصياغة المعدول عنها تمثل الصياغة في مستواها القياس بينما تمثل الصياغة المعدول إليها، اللغة في مستواها البلاغي.

للعدول عن الأصل ضوابط وشروط تحكمه وعند حدوثه يجب مراعاة أمن اللبس (الفائدة) والخضوع لقواعد معينة يتم العدول ويطرد في ضوئها والإطار العام لصناعة

[1]- انظر جمال الدين أبوالفضل بن منظور , لسان العرب,(تح) أمين محمد/ محمد صادق العبيدي , دار احياء التراث العربي_بيروت,ط3 ,1999م , مادة (عدل).

النحومثل: التقديم والتأخير .يقدم اللفظ للعناية به هوالأرجح في غرض التكلم إذ يتحكم السياق سواءً أكان لغوياً أوحالياً في وضع اللفظ والعدول به عن الأصل التركيبي المفترض.

فقد يتقدم المفعول به أوالمجرور أوالظرف أوالخبر ليفيد السياق أغراضاً بلاغية.

الحذف: يعد الحذف أبلغ من الذكر لا سيما إذا كان يرجع لسبب دلالي ولا يكون هذا إلا في النوع الاختياري لا الإجباري.

لأن الذكر يقتصر على وجه واحد، والحذف يذهب فيه العقل مذاهب كثيرة من التعظيم.

قد يأتي الحذف في الجملة الفعلية فيحذف الفعل، أوالفاعل للتركيز على الحدث فقط عندها يحذف الفاعل، أويحذف المفعول.

أما في الجملة الاسمية فقد يحذف المبتدأ مع بقاء الخبر لدلالة السياق عليه وقد يحذف الخبر وقد تحذف عناصر لا تختص بجملة أسمية أوفعلية كحذف الموصوف والمضاف والمعطوف كله لأغراض بلاغية.

والزيادة على الأصل في التركيب عدول وهوشائع في اللغة العربية وغرضه التوكيد غالباً.

<u>المعنى من خلال المقام والسياق:</u>

ان الدلالة والمعنى شئ واحد، وفي العربية يسمى علم الدلالة بالفتح والكسر والضم ودل في العربية بمعنى هدى وأرشد دل عليه ودل إليه دلالة أرشده والدلالة الإرشاد [1]. فالدلالة والمعنى ليسا مصطلحين لعلمين مختلفين بل علم واحد لمصطلحين مترادفين، لأن الدلالة هي الارتباط بين الدال والمدلول، أي بين اللفظ والمعنى، ولا يمكن أن يتم الإتصال إلا بوجود الدلالة، اللغويون يعدون دراسة علم المعنى فرعاً من فروع الدراسات اللغوية

[1]– المعجم الوسيط ,مادة (دلّ) ج1 ص 294.

الحديثة، فعلم الدلالة يدرس اللغة بأصواتها وحروفها وتراكيبها حتى يصل إلى المعنى المستفاد.

فالدلالة الصوتية هي التي تستمد من طبيعة الأصوات، نغمها وجرسها عندما تضم الحروف إلى بعضها بعضاً على نسق موسيقي خاص، فالصوت لا ينفصل عن المعنى، وأنه لا قيمة له إذا انفصل من سياقه.

والدلالة النحوية هي التي تستمد من نظام الجملة وترتيبها، وقد تكتسب الدلالة النحوية تحديداً وتبرز جزءاً من الحياة الاجتماعية والفكرية، عندما تقع في سياق معين من التركيب الإسنادي وعلاقاته الوظيفية كالفاعلية، والمفعولية، والحالية، والنعتية، والظرفية، والتمييز، والإضافة.

وتظهر الدلالة النحوية بوضوح كلما ترابطت وتوافقت العناصر المكونة لها وإلا أصبحت الجملة بدون معنى، إذن فالدلالة النحوية هي محصلة العلاقات القائمة بين الكلمات داخل الجملة أوالنص أوالعبارة .

والدلالة الصرفية فهي التي تستمد دلالتها عن طريق الصيغ وبنيتها، أي البناء الداخلي للمفردات بمعنى أن أي تغيير في الصيغة يؤدي إلى تغيير في الدلالة.

أما الدلالة الاجتماعية، فهي مفهوم الكلمة المستقل عن أصواتها وبنيتها الذي يتم على أساسه التفاهم بين أفراد المجتمع، وهذه تمثل جزءاً مهماً من الدلالة السياقية لأنها تقوم على أن اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لما يخضع له المجتمع من عوامل التطور والتغيير، فتغيير دلالات الألفاظ لأنها تعيش مع الناس، وتنقل من جيل إلى جيل فتكسب دلالات اجتماعية يتعارف الناس عليها.

وللدلالة جانب مركزي وآخر هامشي، المركزي، القدر المشترك من الدلالة يسجله اللغوي في معجمه ويسميه الدلالة المركزية، فيحدده ويشرحه في معجمه.

أما الدلالة الهامشية فهي تلك التي تختلف باختلاف الأفراد، وتجاربهم، وأمزجتهم، وتركيب أجسامهم، وما ورثوه عن أبائهم وأجدادهم، فالمتكلم ينطق بالكلمة أمام السامع ليوصل إلى ذهن السامع دلالته، فتبعث تلك الكلمة في ذهن السامع دلالة معينة اكتسبها السامع من تجاربه السابقة وما ورثه، ولذا يحدث الاختلاف في التفسير والتأويل للدلالات الهامشية باختلاف فهمهم وعلمهم وثقافتهم وأمزجتهم واتجاهاتهم، كما تختلف باختلاف موقع اللفظة من السياق والدلالة السياقية الموقعية، وهي تشمل الدلالات النفسية والإيحائية والتي تهدف إلى التأثير في نفسية المتلقي أو(القارئ).

تنقسم الدلالة إلى لفظية وغير لفظيه، واللفظية ما كان الدال فيها لفظاً وتنقسم الدلالة إلى دلالة مفردات (ألفاظ)، أودلالة (هيئات) التراكيب، هذا بالنسبة للدلالة اللفظية، أما الدلالة غير اللفظية فيدخل فيها الرمز والإشارة والحال والمقام وغيرها من دلالات حول النص ولذا فإن كثيراً من النصوص تخرج عن المعنى الذي تحمله الألفاظ التي تكونه.

وبناءً على هذا فإن الدلالة تعني التوجيه أوالإشارة إلى معنى معين، وهذا المعنى يتوصل إليه عن طريق السياق الذي ترد فيه داخل النص أوعن طريق عوامل خارج النص، فهناك معنى يفهم من ظاهر الألفاظ وهي الدلالة الظاهرة ومعنى لا يفهم من ظاهر الألفاظ وهوالدلالة الباطنة، يقول عبد القاهر الجرجاني : (الكلام على ضربين ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضرب آخر أنت لا تصل إلى الغرض منه بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض...[1] .

[1]- الجرجاني عبد القاهر / دلائل الاعجاز\ (تح) محمد رشيد رضا \ دار الكتب العلمية ط1 \ ص (203-204).

وقد سماه عبد القاهر (معنى المعنى) فهويعني بكلمة المعنى المفهوم من ظاهر اللفظ الذي تصل إليه بغير واسطة ويعني (بمعنى المعنى) أن تعقل من اللفظ معنى يفضي به ذلك المعنى إلى معنى آخر...).

ومما تكون للتراكيب فيه دلالة باطنة: الكناية، الاستعارة، والتمثيل ومنها المعاريض وهي التورية بالكلام مثل قوله تعالى على لسان ابراهيم ــ عليه السلام ــ عندما سأله قومه عن من حطم أصنامهم: (قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ)[1].

ومنها التأويل وهونقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ[2].

وقيل التأويــل هو: استخــراج معنى الكلام لا على ظاهــره بل على وجــه يتحمل مجــازاً أوحقيقة [3]. ومنها الأمثال: وهي أقوال لها مكانة لدى كل الشعوب فهي تمثل حكمتها وخلاصة تجاربها، ويشيع تركيب المثل بين الناس في معنى معين ولكنه لا يستمد هذا المعنى من مجموع ألفاظه، وأسلوبه يتميز بأنه موجز، جيّد في الكناية والتعريض.

ومنها ما يكون مجازاً في حكم يجري على الكلمة فقط، وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها ويكون معناها مقصوداً في نفسه ومراداً من غير تورية ولا تعريض كما في قوله تعالى: (رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ) [4]فأنت ترى مجازاً ولكن ليس في ذوات الكلم وأنفس الألفاظ ولكن في أحكام أجريت عليها، فليس المجاز في كلمة (ربحت) ولكنه في إسنادها إلى التجارة، فإن لا ترى شيئاً منها إلا وقد أريد به معناه الذي وضع له على وجهه وحقيقته، فلم يرد

1- سورة الأنبياء الآية (63).

2- انظر أبوهلال الحسن بن عبدالله العسكري / الفروق اللغوية \ دار العلم والثقافة للنشر\ ط1\ج1.

3- الجرجاني عبد القاهر \ دلائل الاعجاز (تح) محمد رشيد رضا \ دار الكتب العلمية ط1 \ ص 368.

4- سورة البقرة الآية (16)

بربحت إلا الربح وعليه فكل ما كان فيه مجاز واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر ــ إلا إذا بعد ــ رفع على الصواب وعلى ما ينبغي أن يكون أوجب الفضل والمزيه[1].

الدلالة عند الاصوليين :

قام علماء أصول الفقه الإسلامي باستقراء الأساليب العربية وعباراتها وجملها ومفرداتها واستمدوا من هذا الاستقراء ومما قررته اللغة العربية قواعد وضوابط يتوصل بمراعاتها إلى فهم الأحكام الشرعية من النصوص فهماً يطابق ما يفهمه العربي الذي وردت هذه النصوص بلغته.ودلالات الألفاظ العربية كثيرة، فاللفظ الواحد يدل على معان متعددة بطرق مختلفة، فقد يكون له دلالة محل النطق فيسمى دلالة المنطوق، وقد يكون له دلالة في غير محل النطق فيسمى دلالة المفهوم [2].

دلالة المنطوق :

المنطوق هوما دل عليه اللفظ في محل النطق أي هودلالة لفظ الجملة التركيبة، على حكم مذكور في الكلام سواء على الحكم الملفوظ به على سبيل الحقيقة كما في قوله تعالى: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) [3]أما على سبيل المجاز كما في قوله تعالى: (أَولَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا) [4]واللفظ المنطوق له دلالة على الاحكام باوضاع مختلفة.[5]

---

[1]– انظر الجرجاني عبد القاهر / دلائل الإعجاز في علم المعاني، بيروت، لبنان ط1.

[2]– د.عوض أحمد إدريس \ الوجيز في اصول الفقه \ ط (18) الخرطوم _ السودان 1436_2015م ص195.

3 .سورة البقرة الآية 275.

4– سورة النساء الآية 43

[5]– .انظر د.عوض أحمد إدريس \ الوجيز في اصول الفقه \ ط (18)،الخرطوم _ السودان 1436_2015م

دلالة العبارة: وهي دلالة اللفظ على المعنى الماخوذ من عبارته، والذي يتبادر لفهمه منها لكونه مقصوداً من سياقها أصالة أوتبعاً، فكل ما يفهم من ذات اللفظ الذي وضع له يعد من قبيل دلالة العبارة وقد يعبر عنها بدلالة النص.[1]

ومثل قوله تعالى: (فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً)[2] فهذا النص القرآني يدل بعبارته على إباحة الزواج، وتحديد أقصى عدد الزوجات بأربع، ووجوب الاقتصار على واحدة عند الخوف من الجور حال تعدد الزوجات، وكل هذه المعاني متصورة من السياق، ولكن المعنى الأول مقصود تبعاً والثاني والثالث مقصودات أصالة لأن الآية سيقت في شأن الأوصياء الذين كانوا يتحرجون عن الوصاية على اليتامى خوفاً من الوقوع في أكل أموالهم، مع انهم لم يتحرجوا عن ترك العدل بين الزوجات، والمقصود كما تدل عليه الآية اثبات الاحتياط في طلب القسط في معاملة اليتامي من النساء، إذا العدل وحسن التعامل هوالسياق الكبير في القرآن والسنة.

أذا طبقنا المقام والسياق بكل ما ذكرنا من عناصر المقام المختلفة سواء التي ذكرها البلاغيون واللغويون أوبعد التفاصيل التي أضافها المحدثون على ما ورد من الاحاديث النبوية فأننا يمكن أن نصل إلى معانٍ تدلنا على المقصود من هذه الأحاديث بخلاف ما إذا اقتطعت من سياق ورودها ومقامها الذي قيلت فيه.

<u>توجيه السياق لمعاني الأحاديث الشريفة الخاصة بالنساء :</u>

إن دراسة العلوم العربية والإسلامية التي قامت حول السياق كانت من السبق والعمق معاً، بحيث تفوق نظريتها التي قامت في العصر الحديث في المعرفة الغربية، وان النظريات العربية التي أسست لدراسة السياق كانت أوفى من النظريات الغربية الحديثة

---

[1]- انظر د.عوض أحمد إدريس \ الوجيز في اصول الفقه \ط (18)،الخرطوم _ السودان 1436_2015م.

2- سورة النساء الآية 3.

التي قامت على يد(مالينوفسكي) و(فيرث) وغيرهما وقد تنبه إلى هذه الحقيقة غير واحد من المحدثين يقول دكتور تمام حسان " ولقد تنبه الأقدمون عند اعترافهم بفكرتي المقام والسياق متقدمين ألف سنة تقريباً على زمانهم،لأن الاعتراف بفكرتي المقام والمقال بوصفهما أساسيين متميزين من أسس تحليل المبنى يعد في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة "[1]

وقد جاءت كلمة "السياق " في صحيح البخاري ومسلم وفي سنن النسائي، وفي سنن ابن ماجة، كما جاءت في شرح النووي على صحيح مسلم، وفي كتاب (الإصابة) لابن حجر، وفي كتاب البداية والنهاية لابن كثير[2].

يمكننا أن نستخلص من جملة التعريفات والمفاهيم المتناثرة أن السياق لا يقف عند حد معين يمكن تحديده فيه، كما يمكننا القول أن سياق الشيء يحدده الشيء نفسه وبهذا المفهوم لا تحديد لسياق في إطار بعينه فسياق اللفظ اللغوي أوالنص يعد نمطاً داخلاً في سياق أكبر، وهذا السياق الكبير نفسه يعد نمطاً لغوياً داخلاً بدوره في سياق أكبر، والنص نفسه سياقاً للوحدات الأصغر، الجمل والتراكيب التي وردت فيه، إذ تتحدد بهذه الجملة دلالة الكلمة المفردة، والكلمة المفردة سياق للحروف والأصوات.

إن شراح الحديث بذلوا جهوداً كبيرة في توجيه دلالات الحديث الشريف، فقد وعى حجر لأهمية السياق في توجيه المعنى في الأحاديث النبوية الشريفة، في (فتح الباري) إلي نوعي السياق اللغوي وسياق الحال وقد كان كلامه قريباً جداً من اللغويين المحدثين في تقسيم السياق.

---

[1]– تمام حسّان / اللغة العربية معناها ومبناها\ عالم الكتب القاهرة ط6 \ ص 337.

[2]- مسلم بن الحجاج, صحيح مسلم ,ج3 ,ص 1155

إن شارح الأحاديث لا بد له من استحضار كل الأحداث المصاحبة للنص من اجل توجيهه بطريقة سليمة، تحدث ابن حجر عن"سياق الحال" فظهرت عنده مجموعة من المرادفات لهذا السياق مثل : القرائن، القرينة، قرينة الحال"لسان الحال" المقام وغيرها، التي تعتبر مرادفات كاملة لسياق الحال عند اللغويين المحدثين.

من أبرز عناصر سياق الحال عنده، أسباب الورود, الناسخ والمنسوخ, الموروث الثقافي, عادات المتكلم , معتقد المتكلم واثره في توجيه الدلالة, وغيرها من العناصر السياقية المهمة.

والحديث النبوي الشريف خطاب له خصوصيته السياقية والمقامية وهذه العناصر السياقية تتوزع بين نوعين من المتلقين المتلقي الشاهد الذي يوجه إليه هذا الخطاب، والمتلقي غير الشاهد الذي لقي النص رواية أوكتابة في العصور اللاحقة أما بالنسبة للمتلقي الشاهد، فمن المعروف إن الرسول ــصلى الله عليه وسلم ــ كان يتخذ الأوقات الملائمة للنصيحة التي يتوجه بها إلى المتلقي مباشرة كما جاء في حديث ابن مسعود "كان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتخولنا بالموعظة في ألايام كراهة السآمة علينا " [1].

هذا بالنسبة للمتلقي الشاهد، أما المتلقي غير الشاهد فلم يعد أمامه سوى السياق اللغوي مصدراً للخطاب، ومن ثم فدواعي الإيمان بالملابسات التي تحقق للخطاب صدقه، أقل من تلك التي توفرت للمتلقي الشاهد وقد قيل لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم:"أرأيت من رآك فآمن بك وصدقك واتبعك ماذا له، قال : طوبى له، قيل له أرأيت من آمن بك وصدقك واتبعك ولم يرك قال : طوبى له ثم طوبى له". ومن ثم لزم ان يحتوي السياق اللغوي على مثيراته ومؤثراته الخاصة التي تحقق له التواصل مع المتلقي غير الشاهد، لان المتلقي غير

[1]– أحمد بن حجر العسقلاني / فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 1 حديث رقم 68 ص 195

الشاهد تغيب عنه وسائل التعبير غير اللغوية كالحضور والتنغيم والإشارات، وقد كان للمرسل لغير المشافهين ان يستعيض عنها بوسائل أسلوبية مختلفة لتحقيق رسالة التواصل، هذا معناه ان المتكلم يستطيع أن يلائم بين حديثه وبين حاجات الشخص المقصود واستجاباته بينما على الكاتب أن يتوقع الإعراض والمخالفة بكل أنواعها وأن يبتغي أنجع الوسائل بالنسبة لعدد غير محدد من الأشخاص المقصودين بالرسالة، على الرغم من وجود الملابسات السياقية التي تحكم التواصل بين المسلم وخطاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ، فانه يبقى النص اللغوي نفسه عاملاً كبيراً في البيان وخاصة فيما يتعلق بالأمر والنهي، فإذا غابت ملابسات المشافهة التي تؤخذ في اعتبار من يتصدى لفهم الحديث النبوي الشريف لفاعلية هذه الملابسات في التلقي وخصوصيتها التي تنطوي على عدة عناصر منها:

1. إن أقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) تأتي للمخاطب الذي يؤمن به رسولاً فالمخاطبون يؤمنون بالقرآن الكريم كتاباً منزلاً من عند الله، ويصدقونه ويتحرون العمل بما في القول ودواعي الإذعان ولذلك لا تنصرف همة المتلقي للتصديق أوالبحث في دواعي الصدق في القول بل تنصرف إلى البحث في حقيقة المراد من القول، فان أقواله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليست مجرد نصائح اختيارية للقبول أوالرفض بل هي تعاليم واجبة القبول.
2. التأكيد الدائم على حب المخاطب للمخاطبين، وهذا الحب ينطوي على خصوصية تتعلق بأقواله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فهولن يأمرهم إلا بما ينفعهم ولن ينهاهم إلا عمّا يضرهم. ومن ثم يمثل هذا الجانب العقائدي استجابة عند المتلقي تدفعه إلى التحري في صحة نسبة هذه الأقوال للنبي ــ صلى الله عليه وسلمــ من جانب كما تدفعه إلى

الوقوف موقفاً تبريرياً، فيما يظهر بين هذه الأقوال من تناقض وتأويل هذه الأقوال والتماس العلل لعدم الاختلاف فيما بينها. وهذا يوضح أن كلام النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ مبرر بإسناده إلى قائله، ومن ثم انصرف جل اهتمام علماء الحديث إلى الرواية ووضعوا الأصول والقواعد، فالغاية تتحدد بنسبة الكلام إلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فإذا كان مجرد إسناده إلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يبرر ما يمكن أن يتعارض مع المنطق، فالنص يمثل مرجعية عقدية مبررة في ذاتها، ومن ثم كان الحفاظ على النص ذاته أمرأ بالالتزام في التبليغ بحرفية النص (نضّر الله إمرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعي من سامع) ومنها اهتمام علماء أصول الفقه بإثبات حجية السنة في القرآن الكريم، وأن هذه الحجية هي التي تدفع إلى وجوب الرجوع إليها في صدور الأحكام ومن توزيع هذه الحجية بين التنبيه على حرص الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على من اتبعه من المؤمنين به وبرسالته، والأمر بطاعته واتباعه والنهي والتحذير من مخالفته، وقد التفت علماء أصول الفقه إلى بعد سياقي آخر يسهم إسهاماً جوهرياً في الوقوف على الدلالة وهوالسياق الأكبر المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية وهما يمثلان السياق العام للخطاب التشريعي في الدين الإسلامي.

إن فكرة السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي، ونظرية النظم عند عبد القاهر، خير شاهد على ذلك يقول :"اعلم إن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحووتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء عنها" [1]، يلاحظ هنا مدى الاهتمام بصحة

[1]– الجرجاني عبد القاهر \ دلائل الاعجاز في علم المعاني \ تح محمد رشيد رضا \دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ــ \ط1 1409هـ ــ 1988م ج 1 ص 64.

النحووهذا سياق لغوي، أما الزمخشري في كتابه (الكشاف) فقد اهتم بخاصية توجيه الإعراب حيث يقدم أكثر من وجه إعرابي للآية ولكلٍ معنى.

أما اهتمام القدماء بالسياق غير اللغوي (سياق الموقف)، فواضح عند البلاغيين حيث عرفوا البلاغة بأنها(مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته)[1] وذكر أبوهلال العسكري وغيره عبارة لكل (مقام مقال)[2]، ودعا الجاحظ إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال وذكر وقد نقل من صحيفة بشر بن المعتمر" ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعانيويوازن بينها وبين أقدار المستعمين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامه ولكل حالة من ذلك مقاماً "[3] .

أما ابن خلدون وقد اهتدى إلى سياق الموقف وهذا سياق غير لغوي وسماه (بساط الحال) وقال : الألفاظ بأعينها دالة على المعاني بأعينها ويبقى ما تقتضيه الأحوال ــ محتاجاً إلى ما يدل عليه، ولكل معنى أحوال تخصه فيجب أن تعتبر تلك الأحوال في المقصود لأنها صفاته، ويظهر الاهتمام بالسياق عامة (لغوي وغير لغوي) عند بشر بن المعتمر يقول :(وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال)، ويتضح اهتمامه بالسياق غير اللغوي في قوله (مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال) ويظهر الاهتمام بالسياق اللغوي في قوله (وإنما مدار الشرف على الصواب).

الصياغة الفنية للحديث النبوي تسعى لشرف المعنى وجمال المبنى، فالمعاني والألفاظ في بيان المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ تقدمان للبشرية التعاليم الوضاءة النابعة من

---

[1]- الجرجاني عبد القاهر \ دلائل الاعجاز في علم المعاني \ تح محمد رشيد رضا \دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ــ \ط1 1409هـ ــ 1988م ج 1 ص 64.

[2]– العسكري أبوهلال الحسن بن عبد الله بن سهل/ كتاب الصناعتين الكتابة والشعر\ (تح). مفيد قميحة دار الكتب العلمية لبنان،بيروت، ط الاولى 2008م

[3]– الجاحظ أبوعثمان عمروبن حجر / ت 255 هـ البيان والتبيين، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ــ ج 1 صفحة 77.

جلال البيان القرآني المعجز، فالمصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا ينطق عن الهوى أن هوإلا وحي يوحى.

1- الايجاز والاختصار وحذف فضول الكلام شرط من شروط الفصاحة والبلاغة عند أكثر العلماء.

2- الصورة الادبية الدالة الموحية.

3- تشخيص الظواهر الكونية والكائنات الطبيعية.

4- الكناية والرمز.

5- الخصائص الأسلوبية للبلاغة النبوية: في كلام الجاحظ.

حيث يقول" إنه استعمل المبسوط في موضع البسط واستعمل المقصور في موضع القصر"[1].

والوضوح والبيان من خصائص العبارة في أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم)وفي الحديث النبوي وتتمثل فصاحة العبارة بما يوجد فيها من سمات الفصاحة التي حددها ابن سنان

1- اجتناب تكرار الحروف المتقاربة في تأليف الكلام.

2- حسن التاليف في جمع الكلمات المختارة وتوازنها .

3- تأليف العبارة بما يجري على العرف العربي الصحيح .

4- عدم فساد العنى بالتقديم والتأخير الذي يعقد العبارة .

5- حسن الاستعارة وعدم المخالفة في الكلام، حسن الكناية عما يجب أن يكنى عنه في الوضع الذي لا يحسن فيه التصريح، وقد امتاز الحديث النبوي كما أشار الجاحظ بالتفوق

[1]- انظر صابر عبد الدائم / الحديث النبوي رؤية فنية جمالية، دار الوفاء.

الأسلوبي والإقناع العقلي والإمتاع والإشباع النفسي، ومن السمات التي تفرد بها إقامة الحجة على الخصوم .

6- إفحام المجادلين فهذه الخاصية تشهد بها كثير من المواقف في سيرته ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأنه يجادل الخصم بما يعرف ويأتي إليه من جهة فهمه حتى يكون الاقناع أكثر تأثيراً في النفس وهووسط في الآداء فلا يبطيء ولا يعجل وهوفصيح العبارة لا يعيبه عي في كلامه، السمات السابقة كلها تضفي على كلامه (صلى الله عليه وسلم) وعلى أسلوبه صفة التكامل والصدق والجمال وقوة المواجهة وقوة الاقناع وعدم الخداع والابتعاد عن الحيل الكاذبة ولا عجب في ذلك فهوأفصح العرب ولذلك أسباب منه:

النشأة اللغوية: التي نشأ فيها، فهومن قريش وأخواله بني زهرة واسترضع في بني سعد بن بكر، وخالط فصحاء بطون قريش، هذه النشأة حبته أحسن الأساليب وأفصح اللهجات في العرب وصقلت تلك الموهبة الفذة التي لا نظير لها في البشرية وتتمثل هذه الموهبة في فطرة صافية وذهن وقاد وبصر نفاذ ونفس فاضلة وإحساس دقيق مرهف وبديهة حاضرة .

وليس ذلك بغريب، أن يجتمع كل ذلك لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولأن الله أعلم حيث يضع رسالته وهوسبحانه يصنع رسله على ما تقتضيه حكمته، وأريد لفصاحته ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن تنموتقوى، بتأثر الرسولــ صلى الله عليه وسلم ــ بأسلوب القرآن الكريم فعلى قلبه المتصل بحبل الله تنزّل القرآن الكريمپنَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ)[1].

[1]- سورة الشعراء الآيتان (193-194).

الفصل الثالث

دور المقام والسياق في معاني بعض الأحاديث النبوية الخاصة بالنساء.

المبحث الأول

بعض الأحاديث النبوية الخاصة بالنساء وتبيين مقاصدها من خلال المقام والسياق

حاول البعض إضفاء الشرعية على نظرتهم الدونية للمرأة من خلال التفسيرات المغلوطة لبعض الأحاديث النبوية وذلك بعد عزل هذه الأحاديث عن سياقها وتجريدها من ملابسات ورودها والأمر المؤسف أن كل هذا كان باسم الإسلام، والإسلام برئ منه، فالإسلام حرر المرأة وكرمها أيما تكريم وبعد أن بلغ التحرير الإسلامي للمرأة هذه الآفاق أعادت العادات والتقاليد المرأة أوحاولت إعادتها إلى أسر وأغلال غريبة عن الروح الإسلامية، والأكثر خطورة من هذه العادات والتقاليد هي التفسيرات المغلوطة لبعض المرويات الإسلامية بحثاً عن مرجعية إسلامية وغطاء شرعي للقيم التي سادت عالم المرأة في ذلك التاريخ.

<u>الحديث الأول</u>:

لقد كان الحظ الأوفر من هذا المقام للتفسير الخاطئ الذي ساد وانتشر لحديث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن نقص النساء في العقل والدين وهوحديث رواه الصحابي الجليل أبوسعيد الخدري رضي الله عنه فقال: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أوفي فطر إلى المصلى فمرّ على النساء فقال: يا معشر النساء، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن؟قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال: أليس شهادة المرأة نصف شهادة الرجل؟قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان

عقلها أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان دينها"، هذا الحديث ينطلق منه المتغربون والعلمانيون في دعوتهم إلى إسقاط الإسلام تحرير المرأة من حساباته وطلب هذا التحرير في النماذج الغربية الوافدة، وللرد على هذه الشبهة تأخذ الباحثة النقاط التالية:

أولاً: ترى الباحثة أن المهم في هذا الأمر أن المناسبة مناسبة عيد وفرحة وهي هنا تشكل جزءاً مهماً من سياق الحال.

ثانياً:أن الحديث يخاطب حالة خاصة من النساء ولا يشرع شريعة دائمة ولا عامة في مطلق النساء فهويتحدث عن واقع والحديث عن الواقع القابل للتغير والتطور شيء والتشريع للثوابت عبادات وقيماً ومعاملات شيء آخر فعندما يقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ"إنّا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب"[1]

فهووصف واقعاً لا شرع لتأبيد الجهل بالكتابة والحساب لأن القران الكريم قد بدأ بقوله تعالى:(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[2].

ثالثاً: أن مناسبة الحديث ترشح ألفاظه وأوصافه لأن يكون المقصود من ورائها المدح وليس الذم، فالذي شهد له المولى ــ عز وجل ــ بخلقه العظيم: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[3]، والذي جعل من العيد هذا فرحة أشرك في الاستمتاع بها مع الرجال كل النساء وحتى

1-البخاري الجامع الصحيح \ كتاب الصوم \ باب نزل النبي –صلى الله عليه وسلم– (لا نكتب ولا نحسب) حديث رقم 1913 \ ج3 \ ص27.

2– سورة العلق الآيات 1ــ 5.

3– سورة القلم الآية (4)

الحيض والذي يقول: " رفقاً بالقوارير "[1] ويوصي بهن وهوعلى فراش المرض يودع هذه الدنيا وقوله: " ما من مسلم له بنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلتاه الجنة "[2].

فالذي يقول هذه الأقوال وهوصاحب الخلق العظيم، لا يجابه كل النساء بالذم والتقريع والحكم المؤبد عليهن بنقصان الأهلية لنقصانهن في العقل والدين .وكل ذلك في يوم العيد.

فالحديث يشير إلى غلبة العاطفة والرّقة على المرأة وهي عاطفة ورقة صارت سلاحاً تغلب به المرأة أشد الرجال حزماً وعقلاً.

إذن فنقص العقل الذي أشارت إليه كلمات الحديث النبوي الشريف هووصف لواقع تتزين به المرأة السوية وتفخر به لأنه يعني غلبة عاطفتها على عقلانيتها المجرّدة وكذلك كانت "مداعبة" صاحب الخلق العظيم ــ الذي آتاه ربه جوامع الكلم ــ للنساء في يوم الفرحة والزينة، عندما قال لهن:" إنهن يغلبن بسلاح العاطفة أهل الحزم والألباب من العقلاء ويخترقن بالعواطف الرقيقة أمنع الحصون (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن).

والمراد بنقص الدين هووصف الواقع غير المذموم بل إنه الواقع المحمود والممدوح معنوياً سألت النسوة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن المقصود من نقصهن في الدين تحدث عن اختصاصهن برخص في العبادات تزيد على الرخص التي يشاركن فيها الرجال فالنساء يشاركن الرجال في كل الرخص التي رخص فيها الشارع من إفطار الصائم في المرض والسفر، إلى قصر الصلاة في السفر إلى إباحة المحرمات عند الضرورات، ثم يزدن عليهم في رخص خاصة بالنساء من مثل سقوط فرائض الصلاة والصيام عن الحائض والنفساء وإفطار المرضعة عند الحاجة في شهر رمضان.

1- البحاري الجامع الصحيح اكتاب الأدب \ باب في المعاريض مندوحة عن الكذب \ ج8 \ حديث رقم 6211 ص47 .
2- ابن ماجة \ سنن ابن ماجة \ حديث رقم 3670 \ ج3 \ ص121.

وإذا كان الله ــ سبحانه وتعالى ــ يحب أن تؤتي رخصة كما تؤتي عزائمه فإن التزام النساء بهذه الرخصة الشرعية هوالواجب والمطلوب والمحمود وفيه الأجر والثواب. وترى الباحثة أنه من الواجب أن تتضافر جهود المسلمين ليبحثوا بحثاً علمياً دقيقاً لتحديد مجال النقص ودرجته وزمن ظهوره وأسبابه ونسبة وجوده بين النساء لفهم دلالة الحديث فهماً يناسب العصر الذي نعيش فيه كما اجتهد السابقون وخدموا السنة النبوية بما يناسب عصرهم وليس تجميد المفاهيم وترديدها كما هي أوالاتكاء على مجهودات غيرنا والقول بأنه موجود في ديننا فيجب أن نبادر لنصل إلى الحقيقة مدعومين بأن الرسول ــصلى الله عليه وسلم ــ تركنا على المحجة البيضاء وسنكشف دلالات لم تخطر على بالنا لا في الماضي ولا في الحاضر.

جاء في هذا الحديث لفظا العقل واللب، وقد وردت شروح لكلمة اللب بأنها: العقل ولكن هل العقل واللب، والفؤاد والقلب كلها من المترادفات؟ ولننظر إلى كلمة العقل في القرآن وكيفية ورودها وماذا أضيف إليها من معلومات اكتشفها الإنسان لما ازداد علماً (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)[1].

من استعمالات العرب قديماً للفظ عقل نجد له مدلولات أخرى مشتقة من الأصل وهوالحبس أوالحفظ، فرواية الرجل الذي سأل الرسول ــصلى الله عليه وسلم ــ عن ناقته، يا رسول أعقلها وأتوكل،أم أطلقها وأتوكل ؟ قال صلى الله عليه وسلم: أعقلها وتوكل، بمعنى أربطها بالعقال أي الرباط الذي تربط به كي لا تسير بعيداً عن مكانها الذي هي فيه. وكذلك قول سيدنا أبى بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ حين تصدى للمرتدين: والله لومنعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لقاتلهم عليه[2].

---

[1]– سورة الإسراء الآية 85.

[2]- الزرقاني محمد عبدالباقي , كتاب الزكاة باب ما جاء في أخذ الصدقات والتشديد فيها , ص185.

وفي الاستعمالات القديمة لفظ العقل يعني الدية وهي المال الذي يدفع لأهل القتيل تعويضاً، وفي العصر الجاهلي كانت المرأة تعتبر أنساناً غير منتج لذلك كانت قيمتها إلاقتصادية أقل من الرجل أي أنها أقل عقلاً أي دية من الرجل، ومن الاستعمالات الشائعة اليوم من استحقاقات العقل بمعنى الحبس أوالحفظ ولفظ الغطاء الذي يوضع فوق الرأس ليمنع غطاء الرأس عند الرجال من السقوط وهذا شائع في دول الخليج العربي وبلاد الشام،وكل هذه الاشتقاقات ترجع إلى الأصل اللغوي الذي يفيد الحبس والسيطرة على الشيء.

ومن المهم ملاحظة أن القرآن الكريم ربط عملية العقل ومشتقاتها في أكثر من مائة وثلاث وعشرين آية فيها إشارة مباشرة أوغير مباشرة إلى أن القلب هوالذي يعقل وليس الدماغ.

قال تعالى : (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوآذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)[1].

فربط الله تعالى بين القلوب التي في الصدور وعملية العقل والحواس التي تغذي عملية العقل بالمعلومات هي الآذان التي تنقل الأصوات من الخارج إلى الدماغ والأعين التي تنقل منظر الكون الخارجي الى الدماغ لكن الذي يقوم بعملية العقل هوالقلب الذي في الصدر . إن عملية العقل تتكون من تداخل مجموعة من الأفعال ليس فعلاً واحداً (التندير) (التفكير) (التقليب) (التذكر) (الاسترجاع) و(الفقه) فكلها من الأفعال التي من مجموعها يصل العقل ويخلص لفكرة محددة أونتيجة يطمئن إليها أويؤمن بها وهذه الأفعال يتم تغذيتها بالمعلومات عن طريق أدوات بيلوجية هي السمع، البصر،والشم والذوق والإحساس، وظروف وبيئات الناس مختلفة لذا فالمخزون في ذاكرة كل إنسان يختلف عن الآخر فهناك ثقافة مشتركة في

1- سورة الحج الآية 46

كل مجتمع إنساني في كل فترة زمنية محددة ولذلك فإن مقدرة الناس على عقل أشياء مختلفة أمر طبعي لا علاقة له بنقصان أوزيادة عقل أحدهم عن الآخرين وإنما الفارق في المخزون من المعلومات السابقة المتاحة للعقل ليتذكر ويتدبر فيها، أي المساحة المتاحة للعقل العمل فيها.

كيفية ورود لفظ العقل:

ورد لفظ (العقل) تسع وأربعين مرة في القرآن الكريم(مشتقات لفظ العقل)، ولم يرد اسماً على الاطلاق، إنما ورد فقط مرة واحدة فعلاً ماضياً، وثمان وأربعين مرة فعلاً مضارعاً، مما يدل على أن العقل ليس إلا عملية وظيفية تقوم بها مجموعة من الأعضاء، اختصها الله بتلك الخاصية لكنه ليس عضواً محدداً في جسد الإنسان وقد ربط القرآن الكريم بين القلب والعقل واحياناً يسمي القلب بالفؤاد مثل الآية: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)[1].

كما ورد لفظ (عقل) بصيغة الفعل الماضي مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة البقرة: (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[2].

فقد عقل الكفار كلام الله وفهموا محتواه ومدلوله فهماً سليماً ثم انتقلوا إلى مرحلة ثانية وهي تعطيل عملية الفهم من الاستمرارية ثم بعد ذلك اتبعوا هواهم وحرفوا كلام الله عن علم وادراك لما يفعلون.

اللب:

وقد ورد لفظ (الألباب) مع التذكر في عدد من الأيات :

1- سورة النجم الأية (11) .

2- سورة البقرة الآية (75).

قال تعالى : (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوالْأَلْبَابِ)[1]، قال تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوالْأَلْبَابِ)[2].

آيات تربط بين العقل والقلب :

قال تعالى :(قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)[3]وقوله تعالى :(وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[4]وقوله تعالة :(قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ)[5]

آيات تشير إلى الصدور أوما في الصدور:

قوله تعالى : (كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)[6]. وقوله تعالى:(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[7]. وقوله تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) وقوله تعالى : (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ)[8].

1- سورة ص الآية (29)

2- سورة البقرة الآية (269.).

3- سورة البقرة الآية (79) .

4- سورة الانفال الآية (10)

5- سورة المائدة الآية (113) .

6- سورة الاعراف الآية (2).

7- سورة الاعراف الآية (43)

8- سورة الحشر الآية (13.) .

ومن هنا يتضح أن منظومة العقل ترتبط بالقلب الذي في الصدر لكن لم ترد الإشارة لأي علاقة بين الرأس والعقل في القرآن.

وهنا لا بد من الاشارة إلى عبارة قد سبق بها عبد القاهر الجرجاني عصره عندما تعرض لتجلية الفرق بين العقل والقلب، والقلب هوالذي يتدبر ويفكر يقول في قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) [1] أي لمن كان أعمل قلبه فيما خلق القلب له من التدبر والتفكر بالنظر فيما ينبغي أن ينظر فيه، فهذا على أن يجعل الذي لا يعي ولا يسمع ولا ينظر ولا يتفكر كأنه قد عدم القلب من حيث عدم الانتفاع به وفاته الذي هوفائدة القلب والمطلوب منه، كما جعل الذي لا ينتفع ببصره وسمعه ولا يفكر فيما يؤديان إليه ولا يحصل من رؤية ما يرى وسماع ما يسمع على فائدة بمنزله من لا سمع له ولا بصر.

أما تفسير من يفسره على أنه بمعنى: من كان له (عقل) كأن القلب اسم للعقل كما يتوهمه من لايعرف مخارج الكلام فمحال باطل لأنه يؤدي إلى إبطال الغرض من الآية وإلى تحريف الكلام عن صورته وإزالة المعنى عن وجهته، وذاك المراد به الحث على النظر والتقريع على تركه وذم من يخل به ويغفل عنه ولا يحصل ذلك الا بالطريق الذي قدمته، وإلا بأن يكون قد جعل من لا يفقه بقلبه ولا ينظر ولا يتفكر كأنه ليس بذي قلب كما يجعل كأنه جماد وكأنه ميت ولا يشعر ولا يحس، ومن عادة قوم ممن يتعاطون التفسير بغير علم أن توهموا في الألفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل انها على ظواهرها فيفسرها ويبطلوا الغرض ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرف"[2]

1- سورة ق الأية (37)

2- الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد / دلائل الاعجاز\(تح) محمد رشيد رضا \ دار الكتب العلمية ط1 1988م \ ص236

يقول القرطبي : " القلب يعبر عنه بالفؤاد والصدر قال تعالى: (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ)[1] وقال عز وجل: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)[2]يعني في الموضعين قلبك وقد يعبر به عن العقل أي (عقل) لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين والفؤاد محل القلب والصدر محل الفؤاد"[3].

وقد توصل السابقون إلى أن القلب هومكان العقل وليس الدماغ توصلوا اليها عن طريق فهمهم للغة من خلال أيات القرآن الكريم صراحة.

وقد ثبت أن الدماغ لدى الأنثى يختلف عن دماغ الرجل في تخزين المعلومات بالنسبة للذاكرة الطويلة، أي أن الرجل يستخدم مناطق من دماغه تختلف عن المرأة في تخزين المعلومات لفترة طويلة (الذاكرة البعيدة الأمد فقط) فالمواد المخدرة الطبيعية يفرزها الدماغ ليعالج بها الآلام تؤثر على الذاكرة الطويلة الأمد لدى النساء بنسبة أكبر من الرجال، وربما ندرك لِمَ كانت شهادة المرأة نصف شهادة الرجل قال تعالى: (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى)[4]، ففي آخر الآية القرآنية الكريمة نجد التفسير لكلمة (تضل) بمعنى (تنسى) وذلك لسبب علمي بحت كما سبق ذكره، وهوالمواد المخدّرة الطبيعية، ووردت الكلمة في تفسير الجلالين بالمعنى نفسه قال: وتعدد النساء لأجل أن تضل (تنسى) (إحداهما) الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن فتذكر، بالتخفيف والتشديد (إحداهما) (الذاكرة)

1- سورة الفرقان الآية (32) .

2- سورة الشرح الآية (1) .

3- القرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري \ الجامع لأحكام القرآن\ (تح) أحمد البردوني \ دار الكتب المصرية ط2 1964م ج 1 ص178.

4- سورة البقرة الأية (282).

الأخرى (الناسية)، وجملة الاذكار محل العلة أي لتذكر إن ضلّت ودخلت على الضلال لأنه سببه، وفي قراءة اخرى بكسر إن شرطية ورفع (تذكر) إلى تحمل الشهادة وأدائها "[1].

ولا بد نأخذ في اعتبارنا هذه المعلومات العلمية البحتة وهي تسعة اختلافات أساسية بين عقل الرجل والمرأة وكيف يعمل الدماغ لدى كل منهما وهي[2] :

1. **حجم الدماغ:** دماغ الذكر أكبر بنحو10% من دماغ الأنثى إلا أن هذه الكتلة الإضافية لا تعطي الذكر ميزة ذهنية إضافية بقدر ما تعطيه قدر أكبر على استيعاب كتل الجسم الأخرى (العضلية والجسمية) كونها أكبر لدى الذكور.

2. أغلب الذكور يستخدمون الجزء الأيسر من دماغهم بينما تميل المرأة لاستخدام كلا النصفين بالتساوي مما يجعلها أكثر كفاءة في التواصل من الرجل، بينما يتمتع الرجل بدقة أكبر في استقبال البيانات ومواجهتها.

3. **العلاقات:** إن المرأة لديها مهارات أكبر في الاتصال والتواصل بالاضافة لكونها قادرة على التقاط الإشارات العاطفية والانفعالات لأنها تعتمد على حاستها العاطفية بشكل أكبر من الرجل وذلك يرجع لأن مركز الإحساس في الدماغ لدى المرأة أنشط منه لدى الرجل، وقد عبر عنه السابقون بغلبة العاطفة عندها.

4. **المهارات الحسابية والرياضيات** : يعد الرجل أكثر ابداعاً في الرياضيات والحساب وذلك لأن الفلق الأدنى من جدار الدماغ لديهم أكبر حجماً.

5. **التوتر:** عند مواجهة موقف متوتر عادة ما يتمكن الرجل من وضع خطة (هاجم) أو(ابتعد) بينما تستخدم النساء اسلوب (الاستسلام) أوتكوين (علاقة صداقة) حيث تساعد هذه

---

[1]– جلال الدين محمد أحمد المحلي , جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي \ تفسير الجلالين \ دار الحديث القاهرة ط 1 2004م ج1 ص 63.

[2]– من اللإنترنت : أنت والمرأة <http:www.sayidy_net\Article\300 بتاريخ 3-12-2015م دعاء حماد.

الميزة المرأة على تكوين مجتمعات وتربية الأبناء بينما يحتاج الرجل أن يكون حاداً في المواقف القيادية.

وترى الباحثه أن مصداق هذه الصفة يتضح في قصة (بلقيس) ملكة سبأ التي وردت في القرآن الكريم، فهي لم ترجح خيار الحرب بعد مشاورتها للقواد الأقوياء الذين قالوا لها (الأمر إليك) ثم بعثت بهدية قيمة، عنواناً على أن الأمور يمكن أن تسير في اتجاه الصداقة بدلاً من العداوة، لأن الملوك إذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة فهي حريصة على الاستقرار وحفظ كرامة أهلها، وهذا يدل على صواب تفكيرها واتخاذها القرار الصائب الذي يكون سبباً في منع الحرب على الرغم من من حولها أن القواد أولي القوة والبأس.

6. **اللغة:** في المهمات التي تحتاج إلى مهارة لغوية تكون النساء اكثر مهاره لسبب علمي هوأن المرأة يتحكم لديها فلقا الدماغ الذان يحتويان كلاهما على مساحات لغوية أكبر، لذا نجد أن الأنثى تسبق الذكر في الكلام عند الطفولة وتنجح في أ عمال العلاقات العامة والسكرتارية .

7. **العواطف:** المرأة قادرة على التواصل مع ما يسمى الجهاز الطرفي **limbic system** وهولديها أكثر عمقاً من الرجال، فانها اكثر براعة في الاتصال بمشاعرها والتعبير عنها بالإضافة إلى أنها أكثر قدرة على التواصل مع الآخرين، ولكن في الوقت نفسه يجعلها أكثر عرضة لأنواع مختلفة من الاكتئاب والمشاكل النفسية، وترجح الباحثة أن هذا هوالسبب لسرعة غضبها إذا شعرت بالظلم أوسلبت حقاً من حقوقها.

8. **تحديد المكان** : المنطقة الجدارية في دماغ المرأة هي أكثر سماكة من الرجل لذا يصعب عليها تحديد مكان تواجدها أوتوصيف الطريق الصحيح.

9. **القابلية لاضرابات وظائف المخ:** يصاب الرجال بشكل أكبر بـــ **dyslexia** وهي نوع من الاعاقات العقلية وتعني صعوبة تعلم القراءة والكتابة كما هم أكثر إصابة بمرض التوحد وذلك أن أياً من هذه الأمراض يركز على الجزء الأيسر من الدماغ في أغلب الأحيان، بينما الاضطرابات المزاجية هي التي نصيب المرأة حيث تسهل إصابتها بالقلق والاكتئاب.

وترى الباحثة أن هذه الاختلافات إذا ثبتت أونفي جزء منها أوزيد عليها مستقبلاً، لا تخرج عن كونها اختلافات اقتضتها مشيئة الخالق الذي خلق الذكر والأنثى كل لأداء رسالة يؤديها في الكون وهما يتكاملان ومن ثم تسقط النظرة الدونية للمرأة فالله سبحانه وتعالى قد كرّم بني آدم ذكراناً وإناثاً من غير تفرقة، وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا.ومِنْ " تزداد في الكلام وتدل زيادتها على نفي الجنس أواستغراق نفية" أوعلى التنصيص على العموم أوتأكيده كقوله تعالى:(مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ)[1]فزيدت (مِن) في قوله (مِن خير) لاستغراق الخير كما قال الزمخشري في (الكشاف) لأن المقام يقتضي استغراق النفي ليشمل جميع أشكال الخير ومن ثم جاءت (من) ليتفق مدلولها وواقع فريق من اليهود الذين يبغضون المؤمنين ولا يحبون أن يأتيهم أي شكل من أشكال الخير قلّ أوكثر [2]

[1]–سورة البقرة الأية (105).

[2]– الزمخشري محمد بن عمروبن أحمد جار الله \ الكشاف عن غوامض التنزيل \ دار الكتاب العربي بيروتاط3 1407هـ \ ج1 \ ص 174.

ومن هذا نستنتج أن هذا النقص عام في جنس النساء إذاً فهونقص اقتضاه الخالق عز وجل لحكمة لا يعلم حقيقتها كلها إلا هووما على العلماء كل في مجاله إلا أن يبحث لنصل في كل جيل إلى حقائق لم يكن يعلمها من قبله من الأجيال.

ومن ناحية السياق اللغوي للحديث فكلمة (ما رأيت): هذا اللفظ يدل بصيغته هذه على التعجب من هذا الأمر!

ومثله ما سمعنا " ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين "

(ناقصات): اسم فاعل يدل على ثبوت الصفة بمعنى أنها ليست شيئاً عارضاً لأن استخدام الاسم يدل على الثبات بعكس الفعل الذي يدل على التجدد وقد ثبت من خلال البحث أنه نقص فطري وجبلّة وليس منقصة أوعيب.

(عقل): وقد عرفت الباحثة سابقاً أن الأصل اللغوي أوالمعنى المعجمي بمعنى الربط والسيطرة من الفعل عقل البعير بمعنى حبسه بالعقال حتى لا يبتعد عن مكانه، وليس بمعنى قلة الذكاء أونقص القدرة على التفكير إلا لما استطاعت أن تذهب بلب الرجل الحازم، ويجب علينا الانتباه والنظر إلى أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ استخدم كلمة (عقل) للمرأة وكلمة (لب) للرجل، وإذا رجحنا أن (اللب) تعني الذاكرة المخزنة للمعلومات والتي يرجع إليها الإنسان ليبني حكمه على الأشياء وإنها ترتبط بالتذكر في القرآن الكريم، أي هي تستطيع أن تجعل الرجل يسلك سلوكاً مخالفاً لقناعته ومخزونه الفكري وتجاربه السابقة التي يجب أن يسلك، وفقاً لها،ــ سلوكاً محدداً، فيطيعها ويسير في اتجاه رضاها وكأنها تسلبه إرادته.

وقد عبّر ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقوله (الرجل الحازم) بالتعريف بالألف واللام وفي التعريف تقوية الصفة، فإذا كان هذا حال (الرجل) المعروف بحزمه الضابط لأمره

الذي يأخذ عدته لكل أموره فكيف بغيره من الرجال ؟! وعبر ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن المراة بلفظ (إحداكن) بالتنكير بمعنى أي واحدة منكن ــ مهما كانت فلها نصيب من هذه الصفة أي القدرة على تحويل تفكير الرجل الحازم.

إذاً في اطار هذا السياق تكون بداية الحديث رحمة بالنساء وتطييبا لنفوسهن خاصة من كن معتزلات للمصلى ممن شهدن الخير مع المسلمين والمشاركة في الفرح بالعيد وليس تجريحاً وتنقيصاً للنساء في يوم العيد، وقد أخرجت العواتق وذوات الخدور حتى التي ليس لها جلباب تستلف من أختها جلباباً أوغطتها ببعض جلبابها !! والأسلوب المستخدم في الحديث يدل على ذلك فالرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يستخدم في حديثه أسلوب الحوار وقد كانت له ــ صلى الله عليه وسلم ــ طرق في إثارة الحوار منها أن يأتي بجملة تبدوغريبة لأول وهلة، أوتكون معارضة لما تعلمه الصحابة من أحكام الدين فتستثير أسئلتهم فلا يسكتون على أمر يرونه غريباً، ثم يأتيهم الرد الذي يشفي غليلهم ويتمكن الجواب في نفوسهم، وهذا الأمر واضح في هذا الحديث.

فإذا طبقنا عناصر المقام على هذا الحديث فالإطار هنا يشير إلى زمان الحديث وهويوم عيد ووقع الكلام الذي يقال من النبي المصدق والقائد المحبوب الذي يخصص للنساء وقتاً غالياً حيث يشق صفوف الرجال ويجلسهم فيعظهن ويذكرهن ويعلمهن فيحاورنه فيما يقول مستفسرات عما غمض عليهن من الحديث فيأتيهن الجواب مطمئناً لنفوسهن بأن هذا النقص جاء نتيجة لأمر قد كتبه الله على بنات آدم، إذاً فالأسلوب والمضمون المستخدم يكون برداً وسلاماً بعد أن اشرأبت نفوسهن لتقف على حقيقة هذا النقص، ويمكننا ان نتساءل ما الغرض الذي سيق من أجله الحديث لأن له دوراً في اختيار الألفاظ المناسبة له، وكيف تتأثر بها النفس.

هذا الحوار بين النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبين النساء المصليات والمعتزلات للمصلى في يوم العيد فالاستماع للعظة والحث على التصرف بهذا الأسلوب لإثارة الانتباه والتساؤل عما ورد فيه، هوأحد الأساليب المستخدمة في الحديث النبوي الشريف خاصة وإنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ استخدم أسلوب إضافة اسم الفاعل إلى معموله وهويفيد المعنى وإن كان اسم الفاعل منوناً ونصب مفعوله ومنه الاستقبال وأكثر ما تختار العرب التنوين والنصب في المستقبل فإذا كان معناه ماضياً لم يكادوا يقولون إلا بالاضافة، فهذا النقص فطري أراده الله ــ عز وجل ــ لحكمة والصيغة اللغوية تدل على ذلك، أي إضافة اسم الفاعل إلى معموله للدلالة على أن هذا أمر قضي وانتهى ــ إذاً فاختيار المفردات والتراكيب اللغوية وسياق الكلام يتجه إلى اقرار حقيقة ولكن باسلوب تسكن به نفوسهن لما فيه من مودة ورحمة في الخطاب.

وفي نهاية التعقيب على هذا الحديث ما من عاقل يصدق أن يعهد الإسلام وتعهد الحكمة الإلهية بأهم الصناعات الإنسانية والاجتماعية (صناعة الإنسان) ورعاية الأسرة وصياغة مستقبل الأمة إلى ناقصات العقل والدين بهذا المعنى السلبي.

الحديث الثاني :

عن عبد الله بن عباس قال: انخسفت الشمس فصلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقام قياماً طويلاً ... ثم انصرف وقد تجلت الشمس فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفن لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فأذكروا الله: قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيناك كعكعت. قال صلى الله عليه وسلم: إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولوأصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أرى منظراً كاليوم قط أفظع ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: بم يا رسول

الله؟ قال: يكفرن، قيل يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لوأحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط)[1].

والسياق اللغوي للحديث فقد استخدم فيه الرسول –صلى الله عليه وسلم– صيغة (انفعل) التي تدل على المطاوعة (انخسفت)، واستخدم ايضا أسلوب التوكيد(إنّ الشمس والقمر...)، كما استخدم أسلوب الشرط (فإذا رأيتم ذلك فإذكروا الله)، والمراد من هذا الحث على الذكر وإستشعار قدرة الله عزَّ وجل، وعنقود العنب رمز للجنة ورزقها الدائم الذي لا يخطر على قلب بشر لكن المراد العمل الذي يقرب من الجنة ويبعد من النار، واستخدم الأفعال الماضية(رأيت، تناولت) ليؤكد حدوث ذلك، وأنه أمر لا شك فيه، واستُخدم أيضا أسلوب الاستفهام (بم؟) وهذا استفهام حقيقي، وقال (يكفرن) فقالوا (يكفرن بالله؟) استفهام مراد منه التعجب والإنكار، وكانت إجابته –صلى الله عليه وسلم (يكفرن العشير) بمعنى احسان العشير إليهن، وترجح الباحثة أن هذا يدخل في إنفلات عاطفة المرأة عند الغضب.

يعلق عبد الحليم محمد أبوشقة قائلاً: "ماهي دلالة الحديث؟ وماذا نفيد نحن المسلمين نساءً ورجالاً من هذا الحديث؟

هل تعني دلالة الحديث أن الشر غالب على فطرتهن من دون الرجال؟ فإذا كانت الإجابة نعم، فإنهن غير مسؤولات عن الزيادة في فعل الشر، ولكن الحديث يقرر أنهن مسؤولات ويعاقبن بما كسبت أيديهن من كفر العشير وكفر الإحسان يقول: الحافظ ابن حجر ووقع في حديث جابر ما يدل على ان المرئي في النار من النساء من أتصف بصفات

[1]– البخاري \ الجامع الصحيح \ ح 1052 \ ج2 ص37.

ذميمة ذكرت ولفظه (وأكثر من رأيت فيها من النساء اللاتي إن أؤتمن خن وإن سئلن بخلن، وإن سألن ألحفن وإن أعطين لم يشكرن)[1].

وعن فائدة الحديث للرجال وللنساء العمل على اتقاء النار وقد وجه الحق عز وجلّ الرجال ليقوا أنفسهم وأهليهم النار:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ[2])

إذاً فمن واجبات الرجل أن يعمل على إتاحة الفرصة للمرأة أماً أوأختاً أوزوجة للعمل الصالح كالصدقة والدعوة للخير وهذا من حسن القوامة التي فرضها الله ــ عز وجل ــ على الرجال وكذلك حسن الرعاية التي أمر بها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ (الرجل راع على أهل بيته وهومسئول عن رعيته)[3] .

ومما يعضد ما ذكر في الحديث السابق الحديث التالي والذي رواه أبوسعيد –رضي الله عنه– " يقول الله تعالى يا أدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك قال : يقول أخرج بعث النار، قال وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائه وتسعا وتسعين ....ولما اشتد ذلك عليهم سألوا الرسول – صلى الله عليه وسلم– قالوا :يا رسول الله: أيُّنآ ذلك الرجل؟ فقال: ابشروا فان من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجل...حتى قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أوكالرقمة في ذراع الحمار"[4].

---

[1]– محمد عبدالحليم أبوشقة \ تحرير المرأة في عصر الرسالة \ دار القلم للنشر والتوزيع –الكويت \ ط5 1999م \ ج1 ص 273.

[2]– سورة التحريم الأية6.

[3]–انظر لإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري \ صحيح مسلم \ (تح) محمد فؤاد عبدالباقي \ ط1 دار الأصالة – الجزائر.

[4]– البخاري \ باب قوله تعالى (واطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) \ حديث رقم 7138 \ ص 62

وسياق هذا الحديث يثبت أن أمة محمد – صلى الله عليه وسلم– نساءها ورجالها في الجنة إلا من أبى، والنسبة يوضحها التشبيه المستخدم في هذا السياق " كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود وهويفيد قلة المسلمين بالنسبة للأمم السابقة، ورغم ذلك هم شطر أهل الجنة، والرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ حريص على نساء أمته ليجنبهن مصائر النساء في الأمم السابقة.

الحديِّث الثالث:

يقول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ انما المرأة كالضلع .

عن أبي هريرة ــ رضي الله عن ــ ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: " المراة كالضلع إن ذهبت لتقيمها كسرتها وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج "[1] يقول: المدارة بغير همزة بمعنى المجاملة والملاينة، أما بالهمزة فبمعنى المدافعة وليس مراداً هنا، وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه في رواية أبي سفيان عن أبي الزناد بلفظ (إن المرأة خلقت من ضلع أعوج، لن تستقيم لك على طريقة) وقد أخرجه الاسماعيلي من الوجه الذي أخرجه منه البخاري بلفظ (إنما) في أوله، والعوج بكسر العين وفتح الواوللأكثر والفتح لبعضهم وقال أهل اللغة العوج بالفتح في كل منتصب كالحائط والعود وشبهه وبالكسر ما كان في بساط أوأرض أو معاش أودين وقال القرطبي بالفتح في الاجسام وبالكسر في المعاني وانفرد أبوعمروالشيباني فقال كلاهما بالكسر ومصدرها بالفتح.

وجاء في باب الوصاة بالنساء ورقمه (80) والوصاة لغة في الوصية وفي بعض الروايات الوصاية ." عن أبي هريرة عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ واستوصوا

[1]- حديث صحيح ورد في فتح الباري شرح صحيح البخاري \ ج9 \ ح(5184) ص290 , كما ورد في صحيح مسلم (باب الوصية بالنساء) ح (1468) ص 341.

بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً "[1]

ويقول " إن أعوج شيء في الضلع أعلاه " ذكر ذلك تأكيداً لمعنى الكسر لأن الإقامة امرها أظهر في العليا، أوإشارة إلى أنها خلقت من أعوج أجزاء الضلع مبالغة في إثبات هذه الصفة لهن ويحتمل أن يكون ضرب ذلك مثلاً لأعلى المرأة لأن أعلاها رأسها وفيه لسانها وهوالذي يحصل منه الأذى.

السياق اللغوي للحديث :

يبدأ الحديث بفعل الأمر (استوصوا) بمعني أقبلوا وصيتي فيهن واعملوا بها والمراد من الأمر الحث على حسن معاملة النساء، فالنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عندما يقول استوصوا فالمخاطب لا بد أن ينتبه ويتحفز ليسمع وليعمل لما سمع ويعض عليه بالنواجذ من غير أن يبحث عن السبب، وتأتي كلمة النساء في موقع المفعول به المقصود بهذه الوصية، ثم جاءت الكلمة المميزة (خيراً) الكلمة التي تجمع كل معاني البر ثم تأتي انهن خلقن فدخلت أداة التوكيد (إن) في كلام الصادق المصدوق و(خُلِقن) والفعل مبني للمفعول لأن الخالق معروف وهوالله عز وجلَّ خلقهن هكذا ليؤدين دورهن في إعمار الكون مزودات بما يعينهن على هذه الرسالة وهذا خلق الله الذي خلق فسوى فلا تعني هذه الصفة نقصان أومنقصة تعاب عليها، وعليكم ألا تسيروا في معاملتها ضد طبيعة الأشياء (فإن ذهبت تقيمه كسرته) وهذا الاعوجاج مستمر إلى ما شاء الله فهوهكذا ولا يزال فهي كالقوس الذي ترمي به فلا يؤدي وظيفته إلا هكذا وان ذهبت تقيم القوس وتجعله مستقيماً فقد طبيعته وصار مستقيماً كالعصا فلا هوقوس منحني يرمي ولا يستقيم ليصير عصا فكل شيء خلق

[1]- ابن حجر العسقلاني احمد بن علي\ فتح الباري شرح صحيح البخاري \(تح) عبدالعزيز بن عبدالله باز \ دار البيان العربي ج9 ح(5185) ص 291.

في هذا الكون خلق لحكمة وكل ميسر لما خلق له . وإذا تذكرنا أن الوصية بالنساء كانت مما وصى به النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في حجة الوداع، وكانت ايضاً آخر ما أوصى به النبي حيث أوصاهم بالصلاة وما ملكت أيمانهم، واستخدام الفعل المبني للمفعول أدخل في الصفة.

فاذا استصحبت الباحثة كل هذا في توضيح معنى الحديث لا يبقى إلا أن هذا وسام آخر على صدور النساء وليس منقصة ولا ذماً لأن سياق الحديث يدل على ذلك فأوله يبدأ بالوصية (خيراً) بالنساء وختام الكلام (فاستوصوا) بالنساء (خيراً) فالتكرار يفيد التوكيد، إذاً هذا هوالمقصود من السياق وهوتوخي حسن المعاملة، فالأمر حقيقي وأقواله يجب العمل بها وألا يكلفها الرجل بشيء ضد طبيعتها مع الحفاظ على كرامتها، لأن الكسر صدع في العلاقة الإنسانية بين الرجل وزوجته كما يجب ملاحظة التشبيه الدقيق فأي كسر في أي من عظام الجسم يمكن جبره بوسائل طبية بدائية كانت أم حديثة إلا كسر الضلع فلا يمكن الاستعانة بوسيلة تجبره، وقد ينجبر بعد وقت طويل بعد أن يتوقف صاحبه عن ممارسة حياته وعمله طويلاً ويكون طريح الفراش زمناً طويلا.

وفي الحديث أيضاً الندب إلى المداراة لاستمالة النفوس وتآلف القلوب وفيه سياسية النساء بأخذ العفومنهن والصبر على عوجهن وإن من رام تقويمهن فاته الانتفاع بهن مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ويستعين بها على معاشه فكأنه قال الاستمتاع بها لا يتم إلا بالصبر عليها ــ إذاً فالمقام مقام وصاة بالنساء والإحسان إليهن والصبر على طبيعتهن وسياق الكلام يتجة إلى ذلك فهوــصلى الله عليه وسلم ــ بدأ الوصية وختمها بفعل الأمر(استوصوا).

"حدثنا أبونعيم حدثنا سفيان عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر ــ رضي الله عنهماــ قال:على عهد النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كنا نتقي الكلام والإنبساط إلى نسائنا هيبة أن ينزل فينا شيء، فلما توفى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ تكلمنا وانبسطنا "[1].

ففي قوله (نتقي) أي نتجنب (وهيبة أن ينزل فينا) أي من القرآن وقوله فلما توفى (يشعر) بأن الذي كانوا يتركونه كان من المباح، ليس الذي يدخل تحت البراءة الأصلية، فكانوا يخافون أن ينزل في ذلك منع أوتحريم وبعد الوفاة النبوية أمِنوا ذلك ففعلوه تمسكاً بالبراءة الأصلية، وترجح الباحثة أن سياق الحديث يتجه إلى حسن معاملة النساء مراعاة لطبيعتها التي خلقها الله عليها لتؤدي رسالتها في الحياة فكما يؤدي الضلع وظيفته في حماية القلب والرئتين وغيرهما من أعضاء الجسم الداخلية الحساسة الرقيقة فطبيعة المرأة الحنوعلى أسرتها وأطفالها وحمايتهم بما تستطيع ولا أحد ينكر دور الأم ومعاناتها وصبرها على أطفالها ومحافظتها عليهم حتى الأم في عالم الحيوان تقاتل باستماتة في سبيل صغارها بفطرتها التي فطرها الله عليها وعاطفتها التي تدفعها وفقاً للتصرف بغريزة الأمومة حتى في المواقف التي تعرضها للخطر.

وتلاحظ الباحثة أن ذلك لم يفت على ابن حجر فهوقد وضع هذا الحديث في باب (المدارة مع النساء)، ويشير إلى أن عبارة (إن أعوج شيء في الضلع أعلاه) تحتمل الاتي:

1. تأكيد معنى الكسر.
2. .إشارة إلى أنها خُلِقَتْ من أعوج أجزاء الضلع مبالغة في إثبات هذه الصفة لهن.
3. ضَرب ذلك لأعلى المرأة لأن أعلاها رأسها وفيه لسانها وهوالذي يحصل منه الأذى.

---

[1]- ابن حجر العسقلاني احمد بن علي \ فتح الباري شرح صحيح البخاري \(تح) عبدالعزيز بن عبدالله بن الباز \ دار البيان العربي احديث رقم(5187) ج9 ص 292.

فقد وضع ثلاثة احتمالات، فالاحتمالان الأول والثاني يؤكدان أن هذه جِبِلة وطبيعة لا تتغير مهما حاولت تغييرها، وتغييرها ليس في مصلحة الرجل أوالمرأة.

وتقدر الباحثة أن هذا الترتيب يرجح الاحتمالين الاول والثاني أكثر من الاحتمال الثالث الذي يرى أن اعلاه رأسها الذي فيه اللسان الذي يحصل منه الأذى.

ويمكن أن تختم دراسة هذا الحديث بان الوصية من الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ هي أمر واجب التنفيذ على المسلمين (استوصوا).

المقام هنا مقام حث على وجوب حسن المعاملة للنساء وهذا هوالفعل الانجازي المراد.

استخدام أسلوب التشبيه ساهم بقوة في إيصال المعنى المراد وهومعرفة طبيعتها التي خُلقت عليها وأنها لا تتغير وأنها أشبه بمحاولة تقويم الضلع، وتقويمه يعني كسره.

فاستخدام أداة التوكيد(إن) وفعل الأمر (استوصوا) والتشبيه (الضلع الأعوج) ومحاولة تقويمه واستعارة الكسر لتوضيح الأثر النفسي، إذاً فالسياق يتجه للمحافظة على كرامة المرأة ومراعاة طبيعتها الخاصة وحسن معاملتها.

الحديث الرابع:

عن ابن عمر قال : " ذكروا الشؤم عند النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ إن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس"[1].

إذا نظرنا إلى الأحاديث مجتمعة فإن هذه الثلاث: المرأة والدار والفرس، قد تكون سبباً في السعادة وقد تكون سبباً في الشقاء وبهذا ينتفي التعميم،أن الشؤم خاص بكل النساء ومقام الحديث مقام قلّة بدليل بداية الحديث ذكروا الشؤم فقال إن كان ....الخ وليس مقام كثرة.

[1]- ابن حجر العسقلانياحمد ين علي / فتح الباري شرح صحيح البخاري/ حديث رقم 5094 ج9 \ص 158

قال تعالى: (إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ)[1]الشؤم ضد اليمن ويقال تشاءمت بكذا وتيمنت بكذا، يوضح قوله تعالى: أن (منْ) تفيد التبعيض كأنه يشير إلى بعض النساء دون بعض، يقول ابن حجر جاء في بعض الأحاديث وهوما أخرجه أحمد وصححه ابن حبان والحاكم من حديث سعد مرفوعاً (من سعادة ابن آدم ثلاثة: المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة المراة السوء والمسكن السوء والمركب السوء)[2]، وفي رواية للحاكم (ثلاثة من الشقاء المرأة تراها فتسؤوك وتحمل لسانها عليك والدابة تكون قطوفاً فإن ضربتها أتعبتك وان تركتها لم تلحق أصحابك والدار تكون ضيقة قليلة المرافق)، وحديث أسامة بن يزيد ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : " ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء "[3] وفي الأية أعلاه إشارة إلى تخصيص الشؤم بمن تحصل منها العداوة والفتنة لا كما يفهمه الناس من التشاؤم بكعبها أوأن لها تأثير في ذلك وهوشيء لا يقول به أحد من العلماء ومن قال إنها سبب في ذلك فهوجاهل، وقد أطلق ابن حجر على من ينسب المطر إلى النوء (جمع أنواء) الكفر، فكيف من ينسب ما يقع من الشر إلى المرأة مما ليس لها فيه مدخل إنما يتفق موافقة قضاء وقدر فتنفر النفس من ذلك فمن وقع له ذلك فلا يضره أن يتركها من غير أن يعتقد نسبة الفعل إليها.

قال ابن قتيبة: (قال ابومحمد) حدثني محمد بن يحي القطعي قال حدثنا عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن أبي حسان الأعرج أن رجليين دخلا على عائشة– رضي الله عنها– أن أبا هريرة يحدث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أنه قال: إنما الطِيرة في المرأة والدابة والدار فطارت شقةً(بمعنى اغتاظت) ثم قالت: كذب والذي أنزل القرآن على أبي

---

[1]- سورة التغابن الأية 14.

[2]-محمد بن اسماعيل بن صلاح, التنوير شرح الجامع الصغير, دار السلام ط1 _2011م ج6, ص403.

[3]- ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي /فتح الباري شرح صحيح البخاري /حديث رقم 5096/ ج9 ص158

القاسم من حدث بهذا عن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– إنما قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: كان أهل الجاهلية يقولون إن الطيرة في الدابة والمرأة والدار، ثم قرأت " ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها"[1].

والطيرة من الجبت، فلا يمكن أن يتطير الرسول – صلى الله عليه وسلم– وحتى أهل الجاهلية كانوا يمدحون من يكذب بها قال الشاعر:

ولّيس بهيابٍ إذا شدّ رَحلَه ** يقولُ عَدَاني اليومَ واقٍ وحاتمُ

ولكِنَّهُ يمَضِي على ذاكَ مُقدِماً** إذا صَدَّ عن تِلك الهناتِ الخَثَارِمُ[2]

الخثارم هومن يتطير، والواق هوالصرد والحاتم الغراب.

قال المرقش:

ولقد غَدوتُ وكُنُت لا ** أَغدُوعلى واقٍ وحاتِم

فاذا الأشَائمُ كالايا ** منِ والأيامِن كالأشائمِ

وكذاك لا خَيرٌ ولا** شَرٌّ على أحدٍ بدائمِ[3]

وخلاصة القول في هذا الحديث مع اعتبار الباحثة للمقام الذي ورد فيه وسياقه أن لفظ(الشؤم) يختص به البعض وليس صفة لازمة لكل النساء، وأنه مقترن بضرورات الحياة الأخرى كالمسكن والدابة، وإذا نظرنا للسياق اللغوي للحديث فقد بدء الكلام بقول الرواي (ذُكر الشؤم) بصيغة المبني للمجهول يركز على الفعل ثم المفعول به إذاً فالاهتمام (بالشؤم) من حيث هووليس النساء وإلصاق الصفة بهن دون الأشياء الأخرى وحكاية الحال لا تعني الحكم، ومقام الحديث يدل على القلة وذلك بقول (ذكروا الشؤم) بمعنى جاء ذكر الشؤم

[1]- ابن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث، دار الكتاب العربي بيروت، ص71.
[2]- المصدر نفسه، والأبيات للرقاص الكلبي والمخاطب هومسعود بن بحر.
[3]- الأبيات للمرقش وتروى لخزر بن لوذان السدوسي.

وليس إصدار حكم على النساء منقطع عن سياقة ثم قوله (إن كان الشؤم في شيء) و(إن) تدل على عدم الجزم بحدوث الفعل أوندرته إذاً فهوقليل متعلق بمن يحدث منها ذلك.

المبحث الثاني

بعض الأحاديث التي يفهم من ظاهرها خلاف مقصودها

الحديِّث الأول:

رواية أسامة عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال :" قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء"[1]، عن عدي بن حاتم أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذكر النار فأشاح بوجهه وتعوذ منها ثم ذكر النار فأشاح بوجهه متعوذاً منها، ثم قال :" اتقوا النار ولوبشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة"[2]، فاذا ربطنا هذا الحديث بالأحاديث التي وردت في مقامات أخرى يحث فيها النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ النساء على الصدقة اتضح لنا هذا الأمرــ الأمر بالصدقة ــ حرص النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ على المسلمات وأن التصدق يمحوكثيراً من الذنوب قال تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)[3] فالصدقة تمنع مصارع السوء فكأن الصدقة تكون بشارة للمسلمة بأنها ليست المقصودة بذلك إن شاءالله والمقام مقام حث للنساء على الصدقة والعرفان والشكر وعدم نكران الجميل حتى تقلل من اندفاعها العاطفي في حالة الغضب أما عاطفتها في حالة الرضا فهي محمودة ومكملة لدورها الطبيعي.

---

[1]– ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي/ فتح الباري شرح صحيح البخاري/ (تح) عبدالعزيز بن باز حديث رقم 5196/ (باب صفة الجنة) والنار \ج9 \ص342.

[2]–المصدر نفسه \ حديث رقم 6563 \ ج11 ص 491.

[3]– سورة التوبة الآية (128).

وفي السياق اللغوي للحديث محاولة مقارنة بين الجنة والنار، و(أشاح بوجهه وتعوذ منها) الفعل (تعوذ) يفيد التكرار، والإشاحة بوجهه تفيد بيان فظاعة منظر النار لتتجنبها المؤمنات، (ولوبشق تمرة) (ولو) تفيد التقليل.

ومما سبق نفهم وصية الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عندما سأله رجل أن يوصيه فأوصاه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الا يغضب وكلما سأله أن يوصيه ذكّره بعدم الغضب ــ أي لا تعمل بموجب الغضب، فالغضب ليس بملك الإنسان ولكنه يمكن أن يكظم غيظه وغضبه، إذاً فقد حث الرجال والنساء على عدم التصرف بردة الفعل عند الغضب ومما يعضد هذا الكلام أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما استأذنه بنوهشام بن المغيرة في أن ينكحوا ابنتهم علياً بن أبي طالب لم يأذن لهم، قال : (حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة قال سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول وهوعلى المنبر:" إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علياً بن ابي طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما هي بضعة مني يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها "[1]، وقد قال الرسول –صلى الله عليه وسلم– هذا الحديث وهوعلى المنبر مما يدل على أنه أمر عظيم وجلل، أما السياق اللغوي للحديث كرر(لا آذن ثم لا آذن) التكرار نوع من الإطناب وهويفيد التوكيد، والأداة (ثم) تفيد الترتيب مع التراخي بمعنى لن يأذن الآن ولا فيما بعد، وعدل من صيغة (يؤذيني) إلى صيغة (آذاها) أي عدل من الفعل المضارع إلى الفعل الماضي لتغليظ الكلام، وكذلك في (يريبني ما أرابها)، ذكر العلوي العدول من المضارع إلى الماضي دال على مبالغة في

[1]–ابن حجر العسقلاني احمد بن علي \ فتح الباري شرح صحيح البخاري \ حديث رقم (5230) \ (باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف) ص 376_377.

الثبوت والإستقرار[1]، فيكون التعبير بلفظ الماضي عن معنى المضارع وذلك احتياطاً للمعنى فيجيء بالمضارع المشكوك في وقوعه بلفظ الماضي المقطوع بكونه حتى كأن هذا قد وقع واستقر لا أنه متوقع مترقب، لقد تحول السياق من المضارع (يؤذيني) إلى الماضي(آذاها)، ولوجرى على مقتضى الظاهر لكان على النحوالتالي: (يؤذيني ما يؤذيها) لأن الحديث عن زمن مستقبل، والتحول إلى الماضي فيه دليل على القطع والتأكيد بوقوع الحدث ووحصوله، وصدَر الفعل بحرف(الفاء) ليدل على سرعة الورود لما في ذلك من التهديد والتخويف (فلا آذان)، والتعبير بالفعل الماضي عن المستقبل هوأسلوب من البلاغة بمكان.

يقول ابن الأثير: " والإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل فائدته أن الماضي اذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد، وإنما يفعل ذلك إن كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها.[2]

وزاد في رواية الزهري " وأنا أتخوف أن تفتن في دينها " بمعني أنها لا تصبر على الغيرة فيقع منها في حق زوجها في حال الغضب ما لا يليق بحالها في الدين، وهذا من حرصه ــ صلى الله عليه وسلم ــ على المسلمات، أما لماذا اختصت السيدة فاطمة الزهراء ــ رضي الله عنها ــ بذلك ؟ الجواب أن السيدة فاطمة ــ رضي الله عنها ــ كانت فاقدة من تركن إليه ممن يؤانسها ويزيل وحشتها من أم أوأخت بخلاف أمهات المؤمنين فإن كل واحدة منهن كانت ترجع إلى من يحصل لها معه ذلك زيادة عليه وهوزوجهن ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما كان عنده من الملاطفة وتطييب القلوب وجبر الخواطر، بحيث أن كل

[1]-العلوي \ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز \ المكتبة العصرية بيروت1423هـ ط1\ ج2 \ ص40.
[2]-ابن الأثير أبوالفتح نصرالله بن محمد \ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر \ (تح) أحمد الحوفي وبدوي طبانة \ مكتبة نهضة مصر \ ط2 د.ت \ج2 ص185.

واحدة منهن ترضى منه لحسن خلقه وجميل خلقه بجميع ما يصدر منه بحيث لووجد ما يخشى وجوده من الغيرة لزال عن قرب، وكفران العشير وكفران الإحسان إنما يأتي في حالة الغضب بدليل قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "... ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط، وهذه حالة من سيطرة الغضب التي تؤدي إلى التلفظ بما يغضب، وأعظمه عندها أن يسعى لأن يتزوج امرأة خرى، وإن كان في زواجه بأخرى لم يخالف شرعاً ولكن هي بغيرتها لم تخالف طبيعتها وقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: "ما غرت على امرأة لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما غرت على خديجة لكثرة ذكر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إياها وثنائه عليها، وقد أوحى اليه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يبشرها ببيت لها في الجنة من قصب ".

يقول ابن حجر:" ومع ذلك فلم ينقل أنه واخذ عائشة لقيام معذرتها بالغيرة التي جبلت عليها النساء " ومن هنا يمكننا ان نفهم من سياق الأحاديث السابقة أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ المربي يحث النساء على التصدق لما فيه من الخير العائد عليهن وحديث اسامة ــ رضي الله عنه ــ والذي ورد سابقاً لم يذكر أن عدد النساء في الجنة قليل ولكنه تكلم عن عدد الفقراء في الجنة وإن الأغنياء محبوسون لم يدخلوا بعد مما يعني أن حسابهم أطول من الفقراء ــ فهم أغنياء ــ يدخلون الجنة بعد حساب لأنه ورد أن أهل النار قد أمر بهم إلى النار، فالمقارنة بين الفقراء والأغنياء، ولم تذكر فئات أخرى كالصائمين الذين يدخلون من باب الريان وغيرهم من الشهداء والصالحين وغيرهم، أما أهل النار فقد اكتمل عددهم بدليل قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأهل النار قد أُمر بهم إلى النار ونعرف أن شفاعة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ تشمل أهل الكبائر أفلا تطمع النساء اللائي يكفرن العشير في ذلك خاصة ولفظ (أمر بهم) يشير إلى أن الأمر لم ينته بل ورد في باب (يقل

الرجال ويكثر النساء) قال أبوموسى عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " وترى الرجل الواحد يتبعه أربعون امراة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء "، ووضح ابن حجر معنى يلذن لكونهن نساءه وسراريه أولكونهن قراباته أومن الجميع.[1]

الحديث الثاني:

عن أنس – رضي الله عنه– قال : " لأحدثكم حديثاً سمعته عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يحدثكم به غيري، سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : " إنّ من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امراة القيم الواحد "[2]، ويقول ابن حجر أيضاً : هذا الحديث لا ينافي الذي قبله، لأن الأربعين داخله في الخمسين، ولعل العدد بعينه غير مراد بل أريد المبالغة في كثرة النساء بالنسبة للرجال ويحتمل أن يجمع بينهن بأن الأربعين عدد من يلذن به والخمسين عدد من يتبعه فهوأعم من أنهن يلذن به فلا منافاة، وقوله(القيم) الواحد أي الذي يقوم بأمورهن اوكنيّ به عن اتباعهن له لطلب النكاح حراماً أوحلالاً وفيه الإخبار بما سيقع فوقع كما أخبر، ومما يلفت النظر في عبارة ابن حجر الأخيرة أنه قال(فوقع كما أخبر) أي أنه رأى هذه الأشراط في زمانه قبل ما يقارب خمسة قرون من الآن، أي أن عدد النساء أكثر من عدد الرجال وإن المجتمعات قد تفشى فيها الجهل والزنا والخمر بمثل هؤلاء النسوة فمصيرهن كما قال الصادق المصدوق ــ النار عامة أهلها من النساء، فإذا استدللنا بالحديث أن عدد النساء في الزمان السّيء أكثر من عدد الرجال بنسبة واحد إلى خمسين وفي قول آخر بنسبة واحد إلى تسعين، فنفهم لماذا كان عدد النساء أكثر

---

[1]- ابن حجر العسقلاني احمد بن علي \ فتح الباري شرح صحيح البخاري (باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف) ص 376_377.

[2]– ابن حجر العسقلاني احمد بن علي \ فتح الباري شرح صحيح البخاري /حديث رقم5231/ باب يقل الرجال ويكثر النساء ج9 ص380.

في النار تبعاً للعدالة الإلهية ولكن لا يعني قلة النساء في الجنة كما يتبادر للفهم، فالنساء أكثر عدداً في الزمان السيء، بمعنى أن اللآتي دخلنها ورآهن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كن أكثرية لأن النار قد استكملت عددها، والجنة لم ينته امر أهلها بعد كما في الحديث، ومما يعضد ذلك أن القرآن يحدثنا أن على الأعراف رجال لم يدخلوها وهم يطمعون، قال تعالي: {...وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ}[1].

وفي نهاية تتبع الباحثة لفهم معنى هذا الحديث هناك سؤال مهم يجب أن يؤخذ في الحسبان : هل عدد النساء في كل زمان أكثر من عدد الرجال؟ خاصة وإن ابن حجر يقول: نأخذ من الحديث أن فيه إخباراً بما سيقع فوقع كما أخبر، وقد عاش ابن حجر في الفترة ما بين (773 ــ 852هــ) بمعنى أنه توفى في منتصف القرن التاسع ونحن الآن في القرن الخامس عشر الهجري، بمعنى أن بيننا وبينه خمسة قرون وزيادة، وقد رأى تفشي هذه الأمراض الاجتماعية في عصره، فكيف بمن في العصور التي تلت ذلك إلى عصرنا هذا إلى ما بعده ؟ ويجب علينا أن نفهم مقاصد الشريعة الكلية وسياق الأحاديث النبوية التي تدعوإلى الرفق في التعامل، وحسن المعاشرة، والحث على التصدق، والبذل ومحاربة شح النفس ببدايات واستهلالات مؤثرة في نفوس النساء مما يجعلهن يتصدقن بأغلى ما عندهن في زمن ليس هوبزمان ترف أوكثير مقتنيات وأن المقصود هوالبذل وليس السب والتنقيص وتيئيس النساء من رحمة الله.

[1]-سورة الأعراف الآية(46)

ما ورد في كون النساء فتنة عن أسامة بن زيد قال : " قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: " ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء " ووجه كونهن أضر، لأن الطباع تميل إليهن كثيراً وتقع في الحرام لأجلهن "[1] .

وعن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "اتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء " [2]، وهوما روى أن رجلاً من بني اسرائيل طلب منه ابن أخيه أوابن عمه أن يزوجه ابنته، قال فقتله لينكحها أولينكح زوجته وهوالذي نزلت فيه قصة البقرة، والمرجح أن هذين الحديثين موجهان للرجال الأمر في الحديث الثاني صريح (اتقوا) أي قو، وجاء في القرآن (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)[3] أي خذ بالوسائل التي تحميك في نفسك وتحمي بيتك من الوقوع في ما نهى الله عز وجل عنه أي اسلكوا السلوك الذي يجعل المجتمع طاهراً منقاداً لأمر الله وقد ورد "عِفّوا تعف نساؤكم ".

فالميل إلى المرأة ليس ذنباً تحاسب به النساء وإنما جعل لعمارة الكون وما جعل الله خليفة في الأرض إلا للعبادة وعمارة الأرض فأين النقص أوالعيب في النساء هنا ؟ المقام مقام توجيه للرجال والانضباط في سلوكهم حيال النساء بصفة عامة بأن تنظر إليها باحترام إذا كان هناك ما يدعوها للخروج في سترة ووقار في مجتمع فيه من يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ويسد منافذ الفساد.

---

[1]– سبق تخريجه.

[2]– ابوالطيب محمد صديق حسن خان القنوجي \ حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة \ (تح) مصطفى الخن ومحي الدين مستو\ مؤسسة الرسالة بيروت ط2 1401ه \ ج1 ص 366.

[3]– سورة التحريم الآية (6)

استخدام الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فعل الأمر الصريح (اتقوا) والوقاية تكون بغض البصر ومراعاة الحرمات وقبل كل ذلك تمسك المرء بدينه بفعل الأوامر واجتناب النواهي.

الحديث الثالث:

"حدثنا مسدد حدثنا اسماعيل حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ قال: " أتى النبي على بعض نسائه – ومعهن أم سليم ــ فقال : ويحك يا أنجشة، رويدك سوقاً بالقوارير"، قال أبوقلابة : فتكلم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بكلمة لوتكلم بها بعضكم لعبتموها عليه" قوله (سوقك بالقوارير)[1]"، قيل الحديث في مقام الشفقة على النساء والرفق بهن، أما من حيث السياق اللغوي للحديث فقد استخدم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كلمة (ويحك) وهي تفيد التمليح بمعنى احذر، واستخدم (يا) وهي أداة نداء للبعيد وهوقريب لتفيد التنبيه، واستخدم أسلوب الاستعارة التصريحية في لفظ (القوارير) للدلالة على الصفة المشتركة بينهما وهي الرقة.

وقد قيل " كان أنجشة أسود وكان في سوقه عنفاً فأمره أن يرفق بالمطايا، وقيل كان حسن الصوت بالحداء، فكره أن تسمع النساء الحداء، فإن حسن الصوت يحرك في النفوس، وجزم ابن بطال بالأول فقال: القوارير كناية عن النساء اللاتي كن على الإبل التي تساق حينئذ ؛ فأمر الحادي بالرفق في الحداء لأنه يحث الإبل حتى تسرع فاذا أسرعت لم يؤمن على النساء السقوط فأفادت الكناية الحض على الرفق بالنساء في السير مالم تفده الحقيقة فيما قال"أرفق بالنساء"، والراجح عند البخاري خوف الفتنة ولذلك أدخل هذا الحديث في(باب المعاريض) ولوأريد القول الأول لم يكن في القوارير تعريض. ومع الوظيفة

[1]– ابن حجر/فتح الباري شرح صحيح البخاري/حديث رقم 6149/ (باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه) ج10 ص626

البلاغية المستفادة من اطلاق لفظ القوارير على النساء، فهذا الحديث بهذا التركيب الرقيق الذي تظهر رقته في استخدام المفردة (القوارير) مقرونة (بالرفق) فتتضمن وظيفة تعليمية إرشادية من تنبيه الرجال أياً كانت مهمتهم على حسن التعامل مع النساء والترفق بهن والمحافظة عليهن جسدياً ونفسياً، وتتضح في هذا الحديث وظيفة التصوير الفني وتوصيل المعنى وإبلاغه بطريقة جميلة ومؤثرة،لأن الأسلوب ينبض بالحياة والحركة مما يمكنه في النفس فتنقاد له، ثم نأتي إلى جانب مهم من جوانب هذا الحديث قال أبوقلابة: فتكلم النبي –صلى الله عليه وسلم– بكلمه لعبتموها عليه " سوقك بالقوارير" قال الداودي هذا ما قاله أبوقلابة لأهل العراق لما كان عندهم من التكلف ومعارضة الحق بالباطل، قال ويحتمل أن يكون قصد أبي قلابة إن هذه الإستعارة من مثل رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في البلاغة ولوصدرت من غيره ممن لا بلاغة له لعبتموها، قال وهذا هواللائق بمنصب أبي قلابة، يقول ابن حجر للصحيح وليس ما قاله الداودي بعيداً ولكن المراد من كان يتنطع في العبارة ويتجنب الألفاظ التي تشتمل على شئ من الهزل وبناء على هذا يمكن للباحثة القول إن قطع الأحاديث وإفراغها من سياقها المناسب لها وتفسيرها في جومن التوتر والحذر يبعدها كثيراً عن المقصد والمراد منها، ولا يخفى أثر الموقف أوما يسمى بسياق الموقف أوما عبر عنه القدماء بمقتضى الحال، يسوق المعنى ويجليه بحسب المراد منه، وهوما عبر عنه ابن حجر "بالتنطع" وتجنب الألفاظ التي تشتمل على شئ من الهزل وأن الحديث قد قِيل وهومحاط بجومن الود والتلطف والرأفة.

يقول العقاد في كتابه "عبقرية محمد" كان محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتفكه ويمزح كما كان يستريح للفكاهة والمزاح وكان دأبه في ذلك كدأبه في جميع مزاياه، يعطي كل ميزة حقها، ولا يأخذ لها من حق غيرها، أي يعطي الفكاهة حقها ولا ينقص بذلك من

حق الصدق والمروءة" [1] مثلما قال لعمته صفية " لا تدخل الجنة عجوز" فبكت فقال لها وهويضحك الله تعالى يقول " إنا أنشأناهن إنشاء, فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً" ففهمت ما أراد وثابت إلى الرضا والرجاء، إذاً فالموقف يسوق الكلام إلي وجهة يستقر معها المعنى وتستريح المفردة من قلقها حينما توضع في غير سياقها، وسياق الكلام يتجه إلي الترفق والمقام يقتضي ذلك لأن السفر على الإبل المسرعة يجهد ويتعب من يمتطيها.

بعد الحديث عن العوامل المؤثرة في فهم كثير من الأحاديث الخاصة بالنساء وتوضيح أثر السياق فيها يجدر للباحثة أن تكمل ما رأت أنه قد يكون أقرب إلى الصحيح أوعلى الأقل ان يؤخذ في الاعتبار،لأنه في كل زمان تجد علوم تعين الباحث على صحة الفهم بما تضيف إليه من معلومات لم تكن متوفرة لغيره، وترى الباحثة أنه من المفيد أن تضاف هذه الـــأحاديث التي تتحدث عن فضل النساء تقوية وتعضيداً لما قالت، وتبدأ بأمهات المؤمنين – رضي الله عنهن أجمعين وأولهن خديجة ــ رضى الله عنها ــ عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال أتى جبريل ــ عليه السلام ــ فقال : يا رسول الله، هذه خديجة أتت ومعها إناء فيه إدام أوطعام أوشراب فإذا هي أتتك فأقرأ عليها السلام من ربها وبشرها ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب "وعن علي ــ رضي الله عنه ــ قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة" وأشار إلى السماء والأرض، وزاد رزين في رواية :– قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنت عمران وآسية إمراة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام" [2] وما زاده رزين أخرجه البخاري بدون ذكر خديجة وفاطمة – رضي الله عنهما،

---

[1]– العقاد،عباس محمود / العبقريات/دار الحياة للنشر والتوزيع ط2 2015م /عبقرية محمد/ ص 149.

[2]– صحيح البخاري\ باب الثريد(فضل عائشة رضي الله عنها) ح(4998).

وعن أبي موسى قال: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً"[1]، وجاء عمروبن العاص ــ رضي الله عنه ــ قال سألت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أى الناس أحب إليك قال عائشة، فقلت ومن الرجال قال: أبوها، فقلت ثم من؟ قال عمر ثم عد رجالاً " . وقد زعم البعض أن حديث الرسول الذي قال فيه " حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة"[2] أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ عندما يسأل عن أحب الناس إليه يجيب (عائشة) وهذا دليل على علومكانة المرأة عند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وفي زمننا الحاضر يتحرج الكثيرون عن ذكر اسم زوجته، ناهيك عن التصريح بمحبتها، (الصلاة والسلام على معلم البشرية محمد بن عبدالله). وقد أخرجه النسائي دون لفظ "ثلاث" كما جاء في (الإحياء) و(الكشاف) قال العقيلي: ليس في شيء من كتب الحديث وكذا قال الزركشي وابن حجر وقد تكلم عليه في تخريج الكشاف بما لا يستغنى عن مراجعته[3]، وهذا الحديث على ما فيه لا يفهم منه ما يوحي بدونية المرأة، وقد تعقب رجال الحديث الأحاديث الضعيفة والمشكوك في إسنادها وعلى الرغم من ذلك تجد من يروج لها لشيء في نفسه كيداً للإسلام في شخص المرأة، وهذا يؤثر في نظرة من لا يفقهون لأنهم يتلقون من غيرهم ولا يطلعون على الكتب الأصلية.

<u>الحديث الرابع:</u>

قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم– : (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امراة)، وسند هذا الحديث كالآتي: قال حدثنا عثمان بن الهيثم، حدثنا عوفى عن الحسن عن أبي بكرة قال:

---

[1]– الرزقاني أبوعبدالله محمد بن عبد الباقي بن يوسف\ شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية\ دار الكتب العلمية\ ط1 ج4 ص 389.

[2]– الجامع الصحيح \ ح (5435) \ أخرجه أحمد والنسائي.

[3]– الشوكاني،محمد بن علي بن محمد ت.1250هـ / كتاب الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة / كتاب النكاح/تح عبدالرحمن بن يحي/ دار الكتب العلميه بيروت/ج1 ص125.

(نفعني الله بكلمة أيام الجمل،لما بلغ النبي –صلي الله عليه وسلم– إن فارساً ملّكوا ابنة كسرى قال: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امراة.) –وهي بوران بنت كسرى شيرويه بن أبرويز بن هرمز– قال أبوبكرة: (فعرفت أن أصحاب الجمل لن يفلحوا)[1]، مذهب أبي بكرة أنه كان على رأي عائشه – رضي الله عنها– في طلب الإصلاح بين الناس ولم يكن قصده القتال ولكن لما انتشبت الحرب لم يكن لمن معها بدُ من المقاتلة،ولم يرجع أبي بكرة عن رأي عائشة ولكنه تفرس بأنهم يغلبون لما رأي الذين مع عائشه تحت أمرها.[2]

اما السياق اللغوي للحديث، فكلمة (قوم): القاف والواووالميم أصلان صحيحان،يدل أحدهما علي جماعة ناس، وربما استعير في غيرهم،والاخر علي انتصابٍ أوعزم، فالأول جمع أمريءٍ ولا يكون ذلك إلا للرجال، قال تعالي: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.[3]

وقال زهير بن أبي سلمى:

وَما أَدري وَسَوفَ إِخالُ أَدري** أَقَومٌ آلُ حِصنٍ أَم نِساءُ[4]

والقول الآخر قولهم قام قياماً إذا انتصب وتكون قام بمعنى العزيمة كما يقال قام بهذا الأمر إذا اعتنقه وهم يقولون في الأول قيام حتم وفي الثاني قيام عزم.

---

[1]– البخاري، الجامع الصحيح/ كتاب الفتن/ باب الفتن التي تموج كموج البحر/ حديث رقم 7099 / تح محمد بن ناصر الناصر/ دارطوق النجاة/ ط1– 1422ه/ ج 9 ص 55 .

[2]– أبن حجر/ فتح الباري/ ج 12 ص 66.

[3]– سورة الحجرات الآيه 11.

[4]– زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني، من مُضَر، 520–609 م، في هجاء بني حصن.

(فلح): الفاء واللام والحاء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على شق، والآخر يدل على فوز وبقاء، تقول العرب: (الحديد بالحديد يفلح) [1].

(ولي): الولى القرب والدنو، وولي الشيء وعليه وِلايةً ووَلاية،الإمارة والسلطان،وأوليته الأمر وليته إياه، والولاء الملك، والمولى العبد.[2]

وسياق الكلام يشير إلى أن الذين لن يفلحوا هم الذين تولت أمرهم امرأة، ولكن هل يعني هذا أن المرأة القائدة لا تفلح في القيادة؟ لا، فتركيب الحديث لا يقول: لن تفلح المراة التي تولت أمر القوم(الرجال)، فهي قد تفلح وتؤدي دورها ولكن عاقبة أمرهم هم خيبة، كما جاء في قصة الملكة بلقيس ملكة سبأ، قال تعالي: { إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ *}[3].

(لن): من أدوات نصب الفعل المضارع، تنفي حدوث الفعل في المستقبل، والفلاح (ضد الخيبة)، أي الفوز والبقاء.

(ولوا أمرهم...) قدم المفعول الأول (أمرهم) علي الثاني (امرأة) والتقديم هنا يفيد العناية به وهي ولاية الأمر أي أصبحت ولية أمر هولاء الرجال، وكلمتي (القوم)و(الأمر) من الكلمات ذات الخطر والشأن، (فالقوم) هم الجماعه الذين يقومون في أمر جلل أومهم، وكلمة (الأمر) تعني الشيء العظيم، قال تعالي: {...أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ*}[4] فقد جمعت هذه الآية في كلمتين معنى الخالق والمتصرف في شئون خلقه، فالأمر له فلم يبق شيء بعد.

---

[1]– فارس،أحمد بن زكريا توفي سنة 395 هـ /معجم مقايس اللغة /تح عبدالسلام محمد هارون /ج5 ص43/دار الكتب العلميه.

[4]- الزاوي،الطاهر احمد /ترتيب القاموس المحيط علي طريقة المصباح المنير واساس البلاغه/1299هـ –1979م دار الكتب العلمية –بيروت/ج4 ص658.

[3]– سورة النمل الآية (23).

[4]– سورة الأعراف الآية (54).

الحديث الخامس:

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– (لوكنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)[1]، السبب كما في أبي داود عن قيس بن سعد قال أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون (لمرزبان) لهم فقلت: رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أحق أن نسجد له، قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم– فقلت إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك قال: أرأيت لومررت بقبري أكنت تسجد لي قال: قلت لا، قال : (فلا تفعلوا) لوكنت آمراً ... فذكره، ولفظه " لوكنت أمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن، لما جعل الله لهم عليهن من الحق"، وفيه قصة اخرى كما عند الإمام أحمد قال: كان أهل بيت من الانصار لهم جمل يسقون عليه استصعب عليهم منعهم ظهره، فجاوؤا إلي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فأخبروه بأن الزرع والنخل عطش فقال لأصحابه قوموا، فدخل الحائط والجمل في ناحية فمشى النبي –صلى الله عليه وسلم– نحوه، فقال الأنصاري: يا رسول الله قد صار كالكلب الكَلِب نخاف عليك صولته ، قال ليس علي منه بأس فلما نظر الجمل إليه أقبل نحوه حتى خر ساجداً بين يديه فأخذ ناصيته حتى أدخله في العمل فقال له اصحابه، هذه بهيمة، لا يعقل يسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك قال: لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولوصلح، لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها لعظم حقه عليها، ولوكان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقها.

اتضح أن سبب ورود الحديث فيه قصتان، سجود أهل الحيرة لأحد رجالهم، وسجود البعير للنبي – صلى الله عليه وسلم– والسجود كما جاء في القرآن الكريم سجود تكريم قال

[1]– الحنفي إبراهيم بن محمد بن محمد بن احمد بن حسين بن حمزة، البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف ، (تح) سيف الدين الكاتب، دار الكتاب العربي –بيروت– ج 2 ص 170.

تعالى "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ"[1] وقيل السجود قد يكون ْ سجود تحية وسلام وإكرام قال تعالى " وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِن َالْبَدْومِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوالْعَلِيمُ الْحَكِيمُ"[2]

اما البناء اللغوي والتركيبي فيبدأ ب(لو) فهي حرف امتناع لامتناع، بمعنى امتناع الجواب لامتناع الشرط فهذه حالة افتراضية ينتفي فيها الأمر بالسجود، كما استخدم صيغة فاعل(آمراً) والتي تدل على الثبات والدوام، وكلمة (أحداً) جاءت نكرة لتفيد العموم، واستخدم صيغة التوكيد (اللام، أن)، والفعل المضارع (يسجدن) يفيد الاستمرار والتجدد، ثم جاء بلام التعليل لتبين السبب الذي من أجله يكون السجود، واتجاه الكلام وسياقه لاعتراف المرأة بحق زوجها عليه لتستقر الحياة في الأسر المسلمة وأن تكرمه كما أكرمها والغرض البلاغي هوالتنبيه والحث، وقد جاءت النكرة (أحداً، أحدٍ) في سياق النفي إذ لم يحدث الأمر بالسجود.

<u>بعض الأحاديث الضعيفة المتداولة عن المرأة:</u>

بتر الأحاديث من سياقها أدى لوضع بعض الأحاديث التي تقلل من شأن المرأة وقد تتبعها المتخصصون وأثبتوا ضعفها ولكنها تركت بعض الآثار الضارة إذ يتداولها البعض ويستشهدون بها وكأنها أحاديث صحيحة، وفيما يلي نماذج لها.

[1]– سورة البقرة الاية 34.

[2]– سورة يوسف الأية 100.

روى ابن عدي عن عمر مرفوعاً وفي إسناده متروكاً ومنكر قال " لولا النساء لعبد الله حقاً حقاً " [1] قال ابن عدي : هذا حديث منكر لا أعرفه إلا من هذا الطريق، وقال في اللآلي : له شاهد رواه الثقفي في الثقفيات من حديث أنس " لولا المرأة لدخل الرجل الجنة "وفي إسناده بشر بن الضحاك وهومتروك .

ورد أيضاً : " لا تسكنوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور " [2]رواه الخطيب عن عائشة مرفوعاً وفي إسناده محمد بن ابراهيم الشامي كان يضع الحديث، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك من غير طريقه وقال صحيح الإسناد ــ تعقبة ابن حجر فقال : إن في إسناد الحاكم عبد الوهاب بن الضحاك وهومتروك.

وقد روى سعيد بن منصور عن مجاهد قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ علموا رجالكم سورة المائدة وعلموا نساؤكم سورة النور" [3] وروى البيهقي في الشعب عن عمر بن الخطاب أنه كتب تعلموا سورة براءة وعلموا نساءكم سورة النور حديث طاعة المرأة ندامة، رواه ابن عربي عن زيد بن ثابت مرفوعاً وفي إسناده عنبسة بن عبد الرحمن ــ وليس بشئ وعثمان بن عبد الرحمن الطرائقي ــ لا يحتج به.

وقد رواه العقيلي عن عائشة عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : طاعة النساء ندامة "وفي إسناده محمد بن سليمان بن أبي كربة قال العقيلي : حدث ببواطيل لا أصل لها منها هذا الحديث.

ونلاحظ أن هذه الأحاديث قد قدح في سندها فلا يعتد بها ولكن تداولها بين من لا يتحرجون عن الأحاديث يسهم في تشويه المفاهيم والتجرؤ على التقليل من قيمة المرأة

---

[1]– الشوكاني،محمد بن علي بن محمد ت.1250هـ / كتاب الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة / كتاب النكاح/تح عبدالرحمن بن يحي/ دار الكتب العلميه بيروت/ج1 ص119.

[2]- المصدر نفسه \ ص126.

[3]–المصدر نفسه.

التي حفظها لها القرآن الكريم والحديث الشريف، وواضح أن قائليها متأثرون بما جاء في بعض الديانات أن حواء هي سبب خروج آدم ــ عليه السلام ــ من الجنة .

وقد حرص النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ على تعليم النساء وخصص لهن يوماً لما طلبن ذلك فكيف ينهي عن تعليمهن وفي قولهم " في طاعة المرأة ندامة " والرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعمل بمشورة أم سلمة ــأم المؤمنين ــ في صلح الحديبية لما قال لها " هلك الناس امرتهم فلم يطيعوني" فأشارت عليه بأن ــ لا يكلمهم ــ ويتحلل من إحرامه فلما رأوا ذلك منه تسابقوا في التحلل، وحلق شعر رؤوسهم، فهذه الأحاديث لا تشبه السياق العام الذي يتضمنه القرآن الكريم والحديث الشريف كما أسلفنا في ثنايا هذا البحث، فقد كن يبايعنه كما يبايعه الرجال وكرمهن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في كثير من أحاديثه[1]. فقال: " الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة " [2].

وقد حظيت كثير من الصحابيات بوصايا النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكن يسألنه في أمور دينهن، كوصيته للسيدة فاطمة وقد استهلها بقوله : " ما يمنعك أن تسمعي ما أوصليك به " أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت ياحي يا قيوم برحمتك استغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحد غيرك طرفة عين " [3] ، ولا تخفى اللغة اللطيفة التي استعمل بها الحديث (ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك فهذا الاستفهام للحث وعلوالهمة في الدعاء فهويحمل في ثناياه لطفاً ورقة في الخطاب وحرصاً على السمع والعمل بموجب هذا المسموع، "وما اوصيك " يدل على الحرص على ما تسمع لأن الوصية تأتي دائماً بزبدة الكلام وخلاصته واختار لها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ

---

[1]– الشكعة مصطفى / البيان المحمدي / الدار المصرية اللبنانية/ ط1 .

[2]– رواه مسلم وأحمد والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنه .

[3]– رواه النسائي في سننه عن أنس رضي الله عنه .

مناجاة الخالق باثنين في أحب أسمائه الحسنى الحي (الدائم الحياة، والواهب للحياة) والقيوم هوالقيم على خلقه في السموات والأرضين وما بينهما لا يغفل عن القيام بأمرها طرفة عين فكيف بدعاء هذه صيغته صادر من الزهراء ــ رضي الله عنها ــ وهي ممن كملن من النساء وكما سبق اذا فالمقام مقام حرص واهتمام.

الخاتمة:

يقوم هذا البحث على توضيح دور المقام والسياق في فهم الأحاديث النبوية الشريفة الخاصة بالنساء، والتي يتداولها البعض مقتطعة من سياقها، فيفرغونها من محتواها المقصود، متأثرين ببعض المعتقدات الدخيلة والتي لا تتسق مع نظرة الإسلام للمرأة: لذا كان لا بد من التعريف ببلاغة الحديث النبوي، وتميزها عن غيرها من النصوص وأسباب ذلك كان لابد من التعريف بالمقصود (بالمقام) و(السياق) عند المتقدمين والمحدثين وأثر ذلك في تحديد المعنى، ثم أوردنا التطبيق التحليلي لعدد من الأحاديث الخاصة بالنساء، وقد خلص البحث إلى أن المقام والسياق في الأحاديث النبوية المعنية يقود إلى حقيقة مهمة وهي حرص النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ على المسلمات وتعلميهن ما ينفعهن في الدنيا وسبل النجاة في الأخرة بطرق مختلفة من أنواع الخطاب، إن بتر الأحاديث ونزعها من سياقها ومناسبات ورودها،ربما يعكس معناها ويوهم خلاف المقصود منها .

إن الإعجاز في الأحاديث النبوية والذي ينكشف للباحثين من علوم المتقدمين والمعلومات العلمية التي يصل إليها الدارسون، تكشف الدقة في اختيار الكلمات والتراكيب اللغوية التي استخدمها النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فتتجدد المعاني، وتزداد نتيجة لهذه الكشوف العلمية وتنحل كثير من اشكاليات الفهم عند الكثيرين ــ من متعلمين وغيرهم.

ولذا توصل البحث لعدد من النتائج انبنت عليها توصيات وهي:

النتائج :

من خلال ما جاء في البحث توصلت الباحثة لعدد من النتائج من أهمها :-

1. التأثر بالمعتقدات والمفاهيم السائدة في بعض البلاد التي فتحها المسلمون، والتي كانت حضارتها وديانتها تقوم على النظرة الدونية للمرأة، وبتر الأحاديث عن سياقها يدعم

هذه النظرة وكذلك الأحاديث الموضوعة التي تقلل من شأن المرأة، والتي يكثر تداولها بين من يعتقدون ذلك .

2. المقام والسياق في الأحاديث النبوية الشريفة يدل على حرص النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ على المسلمات وتعليمهن ما ينفعهن في الدنيا، وسبل النجاة في الآخرة بصيغ مختلفة من الخطاب .

3. قطع الأحاديث النبوية الشريفة عن سياقها ومناسبات ورودها تفرغها من محتواها المقصود وقد ينعكس معناها تماماً .

4. المعلومات العلمية الحديثة تمد الدارس للأحاديث بعنصر جديد من عناصر المقام يتضح فيه الإعجاز في اختيار النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ للمفردات والتراكيب مما يعين على إجلاء المعاني المتجددة وحل كثير من اشكاليات الفهم بالنسبة للكثير من طبقات المجتمع من متعلمين وغيرهم

التوصيات :

1. إكمال الدراسة والتمحيص في الأحاديث التي تخص النساء والعناية على فهمها وفق المقام والسياق مما يعين على الفهم الصحيح لنظرة الإسلام للمرأة، والوقوف على المكانة العالية التي بوأها الإسلام لها، لتعديل الفهم الخاطيء السائد الذي أدى لظلم المرأة وإشعارها بالدونية وبالتالي هزيمة الأمة .

2. الاهتمام بالبلاغة النبوية والأساليب التي استخدمها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ـــ لاستنباط ما فيها من معانٍ تفيد في توجيه الباحثين والدارسين لاكتشاف آفاق جديدة تخص المقام والسياق لم تتوافر للسابقين، لا سيما إذا ربطت بما تراكم من معلومات علمية صحيحة ومتاحة للجميع في عصر المعلومات .

المصادر المراجع :

القرآن الكريم

1. ابن الأثير ضياء الدين ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، احمد الحوفي، بدوي طبانة. 2.ابراهيم محمود عبد الرضي، نساء في حياة الانبياء، دار الدعوة ط1 :1427ه ـــ، 2006م.

3.أحمد علي الإمام، مفاتيح لفهم القرآن الكريم، تفسير لغريبه وتأويله لمشكله ط 1 :1421هـــ،2000م، مطبعة الصباح .

4.أحمد زكريا ياسوف، الصور الفنية في الحديث النبوي الشريف، دار المكتبي _ دمشق ط2 1427ه_2006م.

5.الأنباري أبوالبركات عبدالرحمن بن محمد، الإنصاف في مسائل الخلاف، القاهرة 1925م.

6.الأنباري أبوالبركات عبدالرحمن بن محمد، الأضداد، المكتبة العصرية ط1 (د.ت).

7.استيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر .

8.البخاري محمد بن اسماعيل،صحيح البخاري، ت 256هـــ (تح) محمد فؤاد عبد الباقي الفا للنشر ط1 1430-2010.

9.بسيوني عبد الفتاح، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل على المعاني ط 1،1408هـــ،1987م .

10. البلتاجي محمد، مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، الحقوق السياسية والاجتماعية والشخصية للمرأة في المجتمع الاسلامي، دراسة مؤصلة وموثقة، مقارنة ط3،1426هـــ، 2000م .

11.تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ط 9 القاهرة، عالم الكتب 2009م.

12.الترمذي، سنن الترمذي، (الجامع الكبير) محمد بن عيسى بن سولاة (تح) بشار عواض، دار العرب الاسلامي ، بيروت 1998م .

13.الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط1،1409هـ، 1988م.

14.الجاحظ أبوعثمان عمروبن حجر،البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

15.ابن جني أبوالفتح عثمان،(تح) عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط4،2008م .

16.حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة ط1 1998م.

17.الحنفي ابراهيم بن محمد بن محمد، البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، دار الكتاب العربي _ بيروت.

18.ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (773- 852) هـ، دار البيان الدربي، مصر .

19.أبوالحسن حازم بن محمد، منهاج البلغاء، دار الكتب الشرقية ط1 1966م.

20.ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، مقدمة وتاريخ بن خلدون.

21.الدوري محمد الياس خضر، دقائق الفروق اللغوية في البينان القرآني ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 1435هـ،2014م .

22.الدقسي كامل سلامة، دولة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من التكوين الى التمكين ط 1، 1415هـ،، دار عمار، الأردن.

23.الرافعي مصطفى صادف ، اعجاز القرآني والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط8 :2014م .

24.ابن رشيق الحسن القيرواني، ط1، 1422هـ 2001م، دار الكتب العلمية، بيروت.

25.الزجاج إبراهيم بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، عالم الكتب بيروت ط1 (د.ت).

26. الزيات أحمد حسن، دفاع عن البلاغة .

27.الزمخشري، جاد الله ت 538هـ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل، ط 4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1427هـ، 2006م .

28. الزاوي الطاهر أحمد، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، دار الكتب العلمية 1979م.

29. الزركشي بدرالدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، ط1 دار ابن الجوزي، القاهرة 2013.

30.الزرقاني محمد بن عبدالباقي بن يوسف، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، دار الكتب العلمية ط1 1417ه_1996م.

31.سعد عبد العزيز المصلوح، في السانيات العربية المعاصرة، دراسات ومناقفات ط 1 1425هـ،2004م .

32.سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة، المطبوعات الجامعية.

33.السري، الأسلوب والإسلوبية.

34. السامرائي خليل ابراهيم حمودي ، دار العصماء ط 1، 1436هـ،2016م .

35.السيوطي جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، تفسير الجلالين، دار الحديث _ القاهرة ط1 2004م.

36.السكاكي يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية1983م.

37.شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، دار المعارف ط1 1426ه.

38.الشافعي حسين محمد فهمي، الدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط2، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة 1422ه،2002م .

39.الشيباني أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة ط1 (د.ت).

40.الشيباني أحمد بن محمد بن حنبل، شرح المعلقات التسع، مؤسسة الأعلمي_ لبنان ط1.

41.الشكعة مصطفى، البيان المحمدي ط 1،1409م هـ 1988م الدار المصرية اللبنانية.

42.الشوكاني، الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة، دار الكتب العلميه بيروت

43.أبوشقة عبدالحليم محمد، تحرير المرأة في عصر الرسالة ط1 1420هـ 1999م، دار القلم للنشر والتوزيع الكويت .

44.صابر عبد الدائم، الحديث النبوي، رؤية فنية جمالية، دار الوفاء.

45.الصباغ محمد بن لطفي، التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف،ط1 1409هـ 1988م،مكتب الاسلامي، بيروت،لبنان.

46.الصباغ محمد لطفي الحدديث النبوي الشريف مصطلحه ـ بلاغته ـكتبه ط 4،1402هـ 1982م .

47.الطلحي ردة الله بن ضيف، دلالة السياق، جامعة أم القرى 1424ه.

48.عمر عبد العزيز موسى، سلسلة العقل والقلب في الطب والقرآن الكريم والسنة، (كيف نثبت أن العقل بالقلب)، دار السلام للطباعة ط1، 2009م .

49.على السلطاني، التذكرة في المعاجم العربية، معاجم الألفاظ نشاتها وتطورها، دار العصماء 1428ه، 2008م .

50.العقاد عباس محمود، العبقريات (مجلد) ط 2 2015م، دار الحياة للنشر والتوزيع.

51.العزاوي خالد حمودي، البيان في سياق بلاغة النسق القرآني ط 1 1437هـ 2016م دار العصماء، دمشق، سوريا ..

52.العكبري عبدالله بن الحسين بن عبدالله، شرح ديوان المتنبي، دار المعرفة بيروت .

53.ابوالعاصي محمد سالم، علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتلبه الموافقات، دار البصائر القاهرة ط1.

54.العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل أبوهلال الصناعتين في الكتابة والشعر، ط1، 2008م، دار الكتب العلمية، بيروت.

55.عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار النهضة للطباعة والنشر الفجالة، القاهرة (د.ت).

56.العلوي يحيى بن حمزة بن علي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية_ بيروت ط1.

57.عز الدين السيد، الحديث النبوي الشريف في الوجهة البلاغية.

58.عوض أحمد إدريس، الوجيز في أصول الفقة، ط18، الخرطوم ه1436.

59.فارس أحمد بن زكريا، معجم مقايس اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر.

60.الفيروزابادي محمد بن يعقوب ت 817ه ــ القاموس المحيط (تح) ــنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة

61. القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الانصاري الخزرجي ت(671)، الجامع لأحكام القرآن.

62.ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الكوفي المرزوني الزينوري، أدب الكاتب (تح) محمد محي الدين عبد الحميد، ط3 مطبعة السعادة _ القاهرة 1958م.

63.القارئ علي بن سلطان، جع الوسائل في شرح الشمائل، دار الأقصى ط1.

64.القزويني محمد بن عبدالرحمن بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الجيل بيروت ط3.

65.القسطلاني أحمد بن محمد، إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري 1403هـ 1983م دار الكتاب العربي، بيروت.

66.القنوجي، محمد صديق حسن خان، حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، مؤسسة الرسالة_بيروت ط2 1401ه .

67. قولفانج هاينة مان ديترفيهقجر، ترجمة سعيد حسن البحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط-2004م.

68.الكاساني أبوبكر مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية ط2 1986ه.

69. الكشميري محمد أنور شاه، معارف السنن شرح جامع الترمزي، المكتبة البانورية.

70.محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي ط2 1997م.

71. مسلم بن الحجاج القشري، صحيح مسلم، ط1، دار الأصالة للنشر_ الجزائر 2010م.

72.مالك بن أنس، الموطأ، مكتبة الصفا 1437هـ 2006م.

73.محمد يوسف الحسين،الصور الفنية في الحديث النبوي الشريف ط2،1427هـ 2006م، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع.

74.مجدي ابراهيم محمد، دراسات في علم اللغة والصرف، والمعاجم، الدلالة ط 1،1432هـ،2011م .

75.محمد محمد ابوموسى، خصائص التراكيب لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة ط7.

76.مصطفى شعبان المصري، فن الاعجاز اللغوي للقرآن الكريم، دراسة لغوية أسلوبية في مناسبة اللفظ لسياق الحال، ط1،2012م

77.ابن ماجه أبوعبدالله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية ط2.

78.ابن منظور محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب ط 3، 1407هـ .

79. الندوي أبوالحسن علي بن الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ط 1، 1394هـ 1974م .

80.ابن هشام الأنصاري، مغنى البيب عن كتب الاعاريب، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت).

81.ابن الناظم ابوعبدالله بدرالدين، شرح ألفية بن مالك، دار الكتب العلمية ط1 1420ه 2000م.

82. ابن يعيش : يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل.

83. اليوسي ابوعلي الحسن بن مسعود، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ط1 1401ه _1981م.

المجلات:

1. مجلة الأمة (مجلد) السنة المحمدية السادسة، رمضان 1406هـ، مايو1986م .

2. مجلة مركز بحوث اللسنة والسيرة، جامعة قطر، العدد الخامس، 1410هـ ـ 1411 هـ،1991م.

3. محاضرة / عمروخالد، بعنوان مكانة المرأة في الإسلام، http:www.amrkaled ..net

4. محاضرات ستنا محمد علي , في برنامج الدكتوراة بالمقررات الدفعة الأولى .

5. الإنترنت: أنت والمرأة <http:www.sayidy.net\Article>300